القسم الأول :
الأسس الفلسفية لنشأة المعتزلة

obeikandl.com

obeikandl.com

القسم الأول :الأسس الفلسفية لنشأة المعتزلة

الفصل الأول :الجذور الأولى للمعتزلة :الأسس الفكرية والأهداف العملية

الفصل الثاني :مدرستا البصرة وبغداد :الإرهاصات والدواعي ومسائل الخلاف

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول :

الجذور الأولى للمعتزلة:الأسس الفكرية والأهداف العملية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول :الجذور الأولى للمعتزلة :الأسس الفكرية والأهداف العملية

أولاً :التبريرات الظرفية لفكرة الجبر

أصحاب مذهب الإرادة الحرة

الشخصيات الإسلامية التي مهدت للفكر الاعتزالي بمفهومه الإنساني :

أبو ذر الغفاري

معبد الجهني

غيلان الدمشقي

ثانياً :أصل المعتزلة بين التاريخ والنقد

موقعتا الجمل وصفين ،وبدايات القلق العقلي

أصل تسمية المعتزلة من منظور نقدي

ثالثاً :فرق المعتزلة

١- الواصلية	٢- العمروية	٣- الهذيلية
٤- النظامية	٥- الأسوارية	٦- الإسكافية
٧- الجعفرية	٨- البشرية	٩- المردارية
١٠- الهشامية	١١- الحائطية	١٢- المعمرية
١٣- الثمامية	١٤- الجاحظية	١٥- الخياطية

١٦- الجبائية ١٧- البهشمية

رابعاً :مفهوم العقل عند المعتزلة

موقف المعتزلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

الأدلة عند المعتزلة :العقلية والسمعية

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً :التبريرات الظرفية لفكرة الجبر :

يمثل الفكر الاعتزالي في التراث الإسلامي مرحلة تنويرية ذات أبعاد إنسانية ، بالمفهوم الأوسع لتلك الكلمة ، بل إن الدارس لهذا الفكر سوف يجد أبعاداً إيمانية على درجة رفيعة من اليقين ، ومن هنا فقد صدق القول بأن المعتزلة قد أقامت الأدلة المنطقية على عقم الاتجاهات الظاهرية والوثوقية التي كانت سائدة أيامهم .

كما أن المعتزلة قد وضعت العقل في المقام القائد لكل فهم أو تفسير أو تحليل ، وكذلك فقد وقفت المعتزلة ضد كل تيار معاصر لها يريد أن يضفي بناءً أسطورياً ثابتاً على حوليات معرفية هي – بطبيعتها – قابلة للكون والفساد .

ولهذا كله فقد عاشت المعتزلة في أكثر عصورها تألقاً مزودةً بوعي التاريخ ، متجهةً إلى الإنسان ، ولم تكن – إطلاقاً – ظلامية ولا غيبية ، بل كانت واقعية عقلانية ، تعبيراً عن الإسلام الحضاري[1] .

ولقد ناصبها أهل السنة والظاهريون العداء[2] ، حتى بلغ الأمر أن أفتى البعض من فقهاء " البلاط " بإسقاط شهادة المعتزلة أمام القضاء ، ذلك بعد أن أوقع أعداء

---

[1]- د.عبد الستار الراوي :فلسفة العقل .رؤية نقدية للنظرية الاعتزالية .دار الشئون الثقافية .بغداد ١٩٨٦م ص١ :٨، الشيخ مصطفى عبد الرازق :تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية.لجنة التأليف والترجمة والنشر .مصر ١٩٥٩م ص٢٥٢ ، W.Montgomery :Political attitude of the Mu,tazilah 1963 p44

[2]- هناك قناعة بأنه من غير المجدي تفسير التاريخ تفسيراً دينياً ،وكذلك من غير المجدي فهم النظريات العلمية من خلال منظور ديني ، لأن تفسير التاريخ على أساس الدين سيؤدي إلى التشدد في مفاهيم العقيدة ،مما يستتبعه قبول تفسير واحد للتاريخ ،ورفض أي تفسير آخر ،بل ووصمه بالكفر ،أو إنه – على أقل تقدير – يؤدي إلى الكفر ،أما فهم النظريات العلمية من خلال منظور ديني ،ففيه ارتهان الثابت الصادق الإلهي – القرآن الكريم – بالمتغير الاحتمالي البشري – العلم !!-وكذلك لا يكون مجدياً أن تحتكر طبقة أو فئة الدين ، انتساباً أو فهماً ،دون فئة أخرى تنتمي لنفس الدين ،وسوف يتبين لنا – بعد قليل – كيف يجل المعتزلة السنة النبوية المطهرة ويضعونها موضع الإجلال والقدسية ،كما أننا نعلم أن صحيح البخاري – أصح الكتب بعد القرآن الكريم – قد حوى أحاديث صحاحاً ،أخذها البخاري - وكذلك مسلم – عن رجال من المعتزلة ،وقد نعلم أن ابن حنبل – وهو كبير مدرسة الأثر في الفقه الإسلامي – يعتمد أحاديث كثيرة مروية عن رجال من المعتزلة .انظر :ابن جرير الطبري :تاريخ الطبري .دار المعارف .القاهرة ١٩٦٣م ج٥ ص١٥٨ : ١٦١ ،جمال الدين القاسمي :تاريخ الجهمية والمعتزلة .مصر ١٣٣١هـ ص٥٧، ٥٨ ،د.طه حسين :الفتنة الكبرى .دار المعارف .القاهرة ١٩٨٢م ط١١ ص١٧٨ وما بعدها ،د.علي سامي النشار :نشأة الفكر الفلسفي في=

المعتزلة بينهم وبين الخليفة المتوكل العباسي ، والذي كان قد بدأ – بدوره – يستشعر خطراً على ملكه من جراء آراء المعتزلة ، فانقلب على رجالها ، ونكّل بهم أبشع تنكيل[1] .

أصحاب مذهب الإرادة الحرة :

من الثابت تاريخياً أن فكرة " الجبر المطلق " التي أعلنها فريق من قراء الشام إرضاءً لبني أمية الذين سعوا جاهدين إلي نشرها تبريراً لسفكهم دماء المسلمين ، بل الدماء الذكية الطاهرة من أهل البيت النبوي ، تلك الفكرة لم تكن تلقى قبولاً لدى بعض رجالات الفكر والفقه في مدرسة محمد بن الحنفية[2] في المدينة المنورة ، وفي مدرسة غيلان الدمشقي في دمشق ، وفي مدرسة الحسن البصري في البصرة ، تلك المدرسة التي يمكن القول بأن علم الكلام – في صورته العقلية الأولى – قد نشأ فيها على يد رجال المعتزلة[3] .

=الإسلام .دار المعارف .القاهرة ١٩٨١م ط٨ ج١ ص٣٧٨ ،د.محمد عمارة :رسائل العدل والتوحيد .دار الهلال .القاهرة ١٩٧١م ج١ ص٦٣ :٦٤.

[1]- لاشك أن الانقلاب الفكري الذي حدث في عهد المتوكل وانتهى إلى ما انتهى إليه من تقطيع لأوصال المعتزلة – رواد التنوير في فكرنا العربي / الإسلامي القديم – راجع بالضرورة إلى ضياع هيبة الحكم العباسي ،وتعدد ذوي السلطان من الأمراء والقواد العسكريين ،وتفاقم عوامل الضعف السياسي والاجتماعي والعسكري ، حتى أن المنتصر بن المتوكل قد تآمر على قتل أبيه ،وشهد هذه الجريمة البشعة البحتري .انظر :الجاحظ :نفي التشبيه .تحقيق .عبد السلام هارون .مصر ١٩٦٤م ج١ ص٣٨ ،٣٢٥ ،شمس الدين الذهبي :ميزان الاعتدال في نقد الرجال .مطبعة السعادة .مصر ١٣٢٥م ج١ ص٣٠٧ ،ج٢ ص١٨٣ ،حسين مروة :النزعات المادية في الإسلام .دار الفارابي .بيروت ١٩٨١م مواضع مختلفة ،د.محمود إسماعيل :الحركات السرية في الإسلام .مصر .بدون تاريخ .فصل " القرامطة " ،كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية .ترجمة أمين فارس ، ونبيه البعلبكي .دار العلم للملايين . بيروت ١٩٦٨م ط٥ ص١٧٩ ،١٨٥ ،٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ،٢١٥.

[2]- هو الابن الثالث لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ،وله ولدان :أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، والحسن بن محمد بن الحنفية ،وكلاهما له أثره في الفكر الإسلامي عامة ،والفكر الاعتزالي خاصة .انظر :محمد بن منيع البصري الزهري "ابن سعد " :الطبقات الكبرى .لبدن ١٣٢٢هـ ج٥ ص٩٨ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٣٤ ،القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٣.

[3]- الحسن الأصفهاني :تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء .بيروت ١٩٦١م ص٩٨ :١٠٤ ،فيليب حتى :تاريخ العرب .تحقيق محمد مبروك .بيروت ١٩٦٥م ص٥٤ ،كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية .ص٢٠٨ ،ابن المرتضي :المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل .ص١٤ ،طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٤ : ١٦٦ ،أبو الفلاح بن=

إلا أن الأمر لا يجب أن يُؤخذ هكذا على عواهنه ، بل يجب التأكيد على أن المعتزلة وإن كانوا أول من " قعّد " و " نظّر " القول بتقديم العقل في التفسير والتأويل والحكم على الأشياء ، إلا أن "العقلانية " العربية / الإسلامية قد كان لها إرهاصات قبيل بزوغ نجم المعتزلة ، لأن " كلمة " الاعتزال " و" المعتزلة " قد ترددت كثيراً في تاريخ الصراع السياسي / الفكري في الإسلام قبل نشوء هذه الجماعة التي استقر عليها اسم "المعتزلة " في نهاية القرن الأول للهجرة وأواخر القرن السابع للميلاد ، وأصبحت كلمة " الاعتزال " منذ ذلك الحين تعني الإشارة إلى مذهب هذه الجماعة بما تفرّد به من آراء في جملة من " الأصول " الاعتقادية الإسلامية ، وبما تفرّد به – كذلك – من منهج عقلي في معالجة هذه الآراء[1] .

وقد تمثلت الإرهاصات التي ألمحنا إليها ، فيمن اتفق المؤرخون على تسميتهم بـ " القدرية "[2] ، على الرغم من أنهم قد أنكروا " القدر " بالمفهوم الجبري .

ولقد عُرف أصحاب مذهب الإرادة الحرة في الإسلام ، أي من يقولون بالاختيار .. عُرفوا باسم " القدريين الأوائل " أي أنهم قد نُسبوا إلى " القدر " الذي أنكروه ، أي إلى "هذا المفهوم المخيف " الذي رأوا فيه قيوداً " لاهوتية وخارجية " غير حقيقية تربطهم في مسار محدد لهم ، وتسيّرهم في طريق أعمى ، عليهم أن يمضوا فيه[3] .

لقد سعى بنو أمية إلى محاولة فرض مقولة الجبر على المجتمع الإسلامي المأزوم بحكمهم ، وجعله يؤمن بالمشيئة الإلهية التي لا راد لها ، حتى كان معاوية بن أبي سفيان يقف خطيباً وسط جموع المسلمين ويقول قولته الشهيرة " لو أن ربي

=العماد :شذرات الذهب في أخبار من ذهب .دار الآفاق الجديدة .بيروت ج١ ص٨٨ ،أبو الحسن الأشعري :مقالات الإسلاميين .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .مكتبة نهضة مصر .القاهرة ١٩٥٠م ج١ ص١٨، Rene. Dussaud: Las Arabes en Syrie avent L,Islam p7:9

[1]- حسين مروّة :النزعات المادية .ج١ ص٦٣١

[2]- القدرية هم القائلون بنفي الله تعالى عن الفعل الإنساني .وهم عكس الجبرية الذين لا يثبتون للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤١

[3]- د.على سامي النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٣١٤

لم يرني أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإياه ، ولو كره الله ما نحن فيه لغيّــره " ويقول : أنا خازن من خُزان الله تعالى ، أعطي من أعطاه الله ، وأمنع من منعه الله . ولو كره الله أمراً لغيّــره . ويقول : إني أقاتلكم على أن أتأمّر عليكم ، وقد أمّرني الله عليكم[1].

---

[1]- د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٢٢٢ ،وعن حرية الإنسان يقول الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي شارحاً رأي ابن رشد "إذا فرضنا الإنسان غير مكتسب لأفعاله ،فإن هذا سيؤدي إلى القول بأن التكليف من الأشياء التي لا تطاق ،إذ تكليف الإنسان في هذه الحالة سيترتب عليه عدم وجود فرق بين تكليفه وتكليف الجماد الذي ليس له استطاعة "د.محمد عاطف العراقي :النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد .دار المعارف . القاهرة ١٩٦٨م ص٣٠١ ،ومن الناحية الجغرافية ..لا يشكك باحث في أن الدولة الأموية بسطت لواء الإسلام على بقاع ممتدة شرقاً وغرباً ،من الهند حتى الأندلس ،ومع طول فترة حكم بني أمية التي بلغت نحو اثنتين وتسعين عاماً ،لم نجد في تاريخهم خروجاً عليهم إلا في نهاية حكمهم ،حين خرج زيد على الوليد ،وخرج مروان على يزيد ،مما يعني – سياسياً – أن الدولة الأموية كانت ذات جدية وحنكة على الصعيد السياسي .. وهذا أمر نسجله لها ،كما أنه يعني أن هذه الدولة قد حفلت برجال "سياسة " !! لهم وزنهم الذي يعتد به في شئون الحكم والجماهير ،ولعل أشهرهم معاوية بن أبي سفيان ،وعبد الملك بن مروان ،والوليد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ،وهؤلاء حكموا سبعين سنة ،جعلوا للحكم هيبةً واعتباراً – وهما لازمان له – لكن هذا لا يمنع من ذكر بعض ما اقترن به حكم الأمويين من أمور نستغربها ونستهجنها : فمعاوية قال له قائل :لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقومنك .فيقول :بماذا ؟فيقول : بالحشب .فيقول :إذن نستقم !!! وواضح ما في هذه العبارة من ثقة عالية بالنفس ، وتلميح إلى عدم الاعتراز بالتسامح ..مما جعل المتحدث إلى معاوية ينسحب – في عومة – ليتحول النصح إلى مداعبة ،أو مداهنة ،حيث فهم ما يقصده معاوية ،وللبعض الحق في اعتبار ذلك دليلاً على حلم معاوية .انظر :عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : تاريخ الخلفاء .تحقيق .محمد محيي الدين عبد الحميد .مطبعة السعادة .القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م ط١ ص١٩٥ ،ومعاوية نفسه هو الذي قال :أبو بكر لم يرد الدنيا ولم ترده ،وعمر أرادته الدنيا ولم يردها ،ونحن تمرغنا فيها ظهراً لبطن .انظر :السيوطي : المصدر السابق . ص١٣٠ .لكن الموضوعية تلزمنا الاعتراف بأن معاوية كان مضرب المثل في الحلم ،حتى قيل في حقه "لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية ".وعبد الملك بن مروان كان يقول :والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا ،إلا ضربت عنقه .حتى قال البعض إنه كان أول من نهى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!! لأنه هو نفسه الذي لما بلغه أن أمر الخلافة قد صار إليه ،وكان المصحف بين يديه ،أطبقه وقال : هذا آخر العهد بك ! .انظر :السيوطي : المصدر السابق . ص٢١٧ :٢١٩ ،وهو نفسه الذي جعل الحجاج أقرب الناس إليه ،والحجاج هذا هو الذي سب عبد الله بن عمر لما اتهمه ابن عمر بالكذب ،فقال له الحجاج :اسكت ... فإنك سبح قد حرقت ودهب عملك ، ويوشك أن يؤخذ فتضرب عنقه ،فبحر وقد انتفخت خصيتاه ،تطوف به صبيان أهل النبيع . كل هذا السباب الفاحش لابن عمر لأنه دافع عن الرسم حين اتهمه الحجاج بتحريف المصحف .انظر :ابن سعد :الطبقات الكبرى .دار صادر .بيروت ج٤ ص١٨٤ .وفي عهد يزيد بن معاوية استسحت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام فعمل فيها أربع=

ومن المؤكد أن مسارات الجبر في الفكر الإسلامي الأول ، لم تكن ذات أبعاد عقائدية بقدر ما كانت بواعثها سياسية " أول " فيها الدين ليخدم أغراض الساسة ، ويوطد أركان حكم بني أمية ،ويبرر ما وقع منهم من خروج على العقيدة والأعراف، حتى أن كتب التاريخ لتذكر لنا كيف صار القول بالجبر على منابر الساسة في كلا طرفي الأمة : الطرف الشرق والطرف الغربي .وقد لعبت السياسة دورها في تشويه الغايات النبيلة والطموحات العادلة والمشروعة لهؤلاء النفر الذين أرادوا دفع مقولة الجبر ، أو كما قال غيلان الدمشقي لصاحبه صالح : وإنما نُقم منا أن قلنا إن ربنا منصف لا يجور[1] .

وليس من نافلة القول الذهاب إلى الاعتقاد بأن المعتزلة تمثل مرحلة راقية .. وراقية جداً ، من مراحل التفكير العقلي في الإسلام ، تأسيساً على تلك الموضوعات التي عالجوها ، والقضايا التي أثاروها ، والأسئلة التي طرحوها ، معتمدين في ذلك كله على دراية غير محدودة بأساليب الجدل والمناقشة .

ولكن – ورغم هذا كله – لا بد من القول " بأنه بضدها تعرف الأشياء " ، ومن ثم يكون لزاماً على الباحث في تاريخ المعتزلة ، مُعتمداً على المنهج الفلسفي النقدي ، أن يرجع إلى بدايات " القلق " العقلي ، والتي مهدت السبيل أمام رجالات المعتزلة للقول بمبادئهم الخمسة ، والتي اعتمدوا فيها – كليةً – على العقل المتفهم للنص

=آلاف وخمسمائة .انظر :محمد بن عبد الواحد الشيباني : الكامل في التاريخ .تحقيق .أبو الفداء عبد الله القاضي .دار الكتب العلمية .بيروت ١٤١٥هـ ط٣ ج٣ ص٤٥٦ ، محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك .دار الكتب العلمية .بيروت ١٤٠٧هـ ط١ ج٢ ص٢٥٢ .وريد بن عبد الملك الذي اشتهر بعشقه سلاّمة وحبّابة ،ولما ماتت الأخيرة حين رمى في فمها "حبة عنب "فشرقت بها فماتت ،ظل في داره لا يخرج منها إلى أن مات !! انظر : إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء "ابن كثير" : البداية والنهاية .مكتبة المعارف. بيروت ١٩٨٧م ج٩ ص٢٣٢ ،٢٣٣.

[1]- القاضي عبد الجبار .فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة .ص٦٤ ،٨١ ،عبد الرحمن بن خلدون :المقدمة .المكتبة التجارية .مصر ص٣١ وما بعدها ،شمس الدين الذهبي :العبر في أخبار من غبر .بيروت ١٩٥٩م ج٦ ص٢٢٧ ،ابن الأثير :الكامل في التاريخ .مصر ١٣٠٣هـ ج٨ ص١٤١

الديني ، وما كانوا مهملين لهذا النص ، كما أراد أعداؤهم أن يصوروهم ، فيما سنتعرض له بالدراسة بعد قليل .

الشخصيات الإسلامية التي مهّدت للفكر الاعتزالي بمفهومه الإنساني :

يمكن للباحث أن يُشير إلى ثلاث شخصيات إسلامية أنكرت الجبر ، وآمنت بحرية إرادة الإنسان ، وذهبت في ذلك إلى مدى غير مسبوق ، فمنهم من لقي ربه في فلاة وحيداً[1] ، ومنهم من قتله الحجاج تعذيباً وصبراً[2] ، ومنهم من قُطّعت يداه ورجلاه .. ثم قُطع لسانه[3] .

١- أبو ذر الغفاري :

أما الشخصية الأولى ، فقد بدأت إنكارها لنظرية الجبر في وقت مبكر جداً ، وهو أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل ، الذي كان علوياً لا يدين بالولاء لإمارة عثمان بن عفان ، وإن لم يكن عنيفاً في ذلك[4] ، كما أنه لم يكن يدين بالولاء للأمويين ، هذا في مجال السياسة والخلافة ، أما في مجال المال و " الاقتصاد " فقد كان له موقف مضاد

---

[1]- هو أبو ذر الغفاري ،من قبيلة غفار ،وجاءت له نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم ، حين تخلّف أبو ذر عن جيش المحاربين في غزوة تبوك لضعف بعيره وجوعه وظمئه ،لكن أبا ذر يلحق بالجيش وحيداً سيراً على الأقدام ،وحين ينكشف عنه النقع وهو يدخل الفسطاط وحيداً ،يقول النبي صلى الله عليه وسلم :يرحم الله أبا ذر :يمشي وحده ، ويموت وحده .وقد مات أبو ذر وحيداً في فلاة الربذة ،حيث نفاه عثمان بن عفان .انظر : ابن كثير :البداية والنهاية .دار الفكر .بيروت ١٩٧٨م ج٧ ص١٦٤، ١٦٥، الحافظ أبو حسن المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر .تحقيق .ه حمد محيي الدين عبد الحميد .دار الفكر.بيروت ١٩٧٣م ط٥ ج٢ ص ٣٤٩،٣٥٠،د.طه حسين:الفتنة الكبرى.ج١ ص١٦٢: ١٦٥

[2]- هو معبد الجهني ،خرج مع محمد بن الأشعث على الأمويين ،فقبض عليه الحجاج وعذبه حتى الموت .انظر :ابن قتيبة :المعارف .تحقيق د.ثروت عكاشة .دار المعارف . القاهرة ١٩٨١م ط٤ ص٤٨٤

[3]- هو عبلان الدمشقي ،من التابعين الصدوقين ،أصمر له هشام بن عبد الملك ، حين ولاه عمر بن عبد العزيز ،أن يقطع يده ورجله ،بل زاد على ذلك إذ قطع لسانه !!! انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٠ هامش ١

[4]- في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :ما أقلت الغبراء ،ولا أظلت الخضراء أصدق لهجةً من أبي ذر .وقد سأله الرسول صلى الله عليه وسلم :كيف أنت إذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيء ؟فقال :إذاً ..والذي بعثك بالحق لأضربن بسيفي .فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :أفلا أدلك على خير من ذلك ؟اصبر حتى تلقاني .انظر :ابن كثير : البداية والنهاية .ج٧ ص١٦٤، ١٦٥ ، د.طه حسين :الفتنة الكبرى .ج١ ص١٦٢

لموقف الأمويين ، أعلن فيه قولاً فصلاً في " الكنز "[1] وعدم الإنفاق ، بما نفهم منه مقاومته من يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونهما في سبيل الله ، أي أن أبا ذر الغفاري كان مؤمناً بأن المال مال المسلمين ، ويجب أن لا نمسكه أو نحبسه عن أي منهم .

وفي الوقت الذي قدّم الأمويون لنظريتهم في الجبر بمقولتهم " إن المال مال الله وإنهم مستخلفون فيه : يعطون من أعطى الله ، ويمنعون من منع الله .نجد أبا ذر الغفاري وهو يضاد هذه المقولة بمقولة أخرى تنم عن إيمانه بحرية الإرادة ، حين قال بأن المال مال المسلمين ، وليس مال الله ، لمعرفته أن مقولة الأمويين هذه ستعد فاتحةً ومدخلاً للقول بالجبر وبالمشيئة الإلهية التي فرضت بني أمية على أعناق المسلمين وعلى بيت المال ، مما سيجعل الخروج على سلطان بني أمية خروجاً على الشرع نفسه[2] .

---

[1]- في قولته الشهيرة "بشّر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة ،ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار، تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة .انظر :د.طه حسين . الفتنة الكبرى .ج١ ص١٦٣ ،١٦٤

[2]- د.محمد عمارة :المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية .المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت ١٩٧٢م ص٣٧ ،القاضي عبد الجبار :المغني .ج٨ "المخلوق"تحقيق . د.توفيق الطويل ،سعيد زايد .القاهرة ص٤ ،ولعل استخدام بني أمية لهذه المقولات في خطابهم للأمة يمثل نوعاً من الاستخدام النفعي القاصد ،بما يمثله من الانتقاء لما يخدم مصالحها – الدولة – ثم إن هذا الاستخدام يمثل نوعاً من "نفي "الآخر ،بل ووضعه تحت لافتات "المنحرف " و "الخارج عن الملة " .والشاهد – هنا – أن النظر الصحيح يلمح أن الخطاب الإسلامي – بشكل عام – له بعدان :عقدي وسياسي ،لكن الإشكالية هي مدى مشروعية الدور السياسي للخطاب العقدي ،أو ما خطورة تشظي هذا الخطاب الهام بين الدين والسياسة ،أو بين القرآن والسلطان ؟وفي هذه الجزئية فإن هناك من يشدد على مقارفة الديني للسياسي والسياسي للديني وتماهيهما معاً ،بحيث يكمن الخطر في القسمة بينهما على الدين نفسه ،تأسيساً على أن العقل الإسلامي ينفر من تلك القسمة المزعومة بين ما هو ديني وما هو سياسي ،لأن التلازم بين الديني والسياسي هو من الأمور المفروغ منها في العقلية الإسلامية ،استناداً على عمومية وشمولية التكاليف الشرعية في الإسلام لمناشط الحياة الإنسانية كلها ،لكن هناك من يرى أن إشكالية الخطاب الديني / السياسي بدأت تطل على المجتمع الإسلامي بداية من العهد الأموي – وربما من أحداث الفتنة الكبرى – ثم العهد العباسي ،فهذا الغزيّ الأ ير يرى أنه ببدايات العهد الأموي خدمت العقيدةُ السياسة ،فهناك طرفان يتحدثان ن العقيده :معاويه يتحدث عنها باعتبارها أحد طرفي معادلة عصبية العقيدة / السياسه ،وابو در الغفاري رضي الله عنه يتحدث عنها باعتبارها أحد طرفي معادله إنسانيه العقيده / الوعي .ونفس المنحى يلحظه الدارس لمقولة أبي جعفر المنصور=

٢- معبد الجهني :

والشخصية الثانية التي نقدم بها لمذهب الإرادة الحرة في الإسلام ، هي شخصية معبد الجهني ، الذي يعد أول من تكلم في القَدر[1] .

ولقد كان معبد مدنياً أولاً ، عاش في المدينة معظم حياته ، ثم انتقل إلى البصرة بعد أن رافق أبا ذر الغفاري في رحلته إلى الشام ، وهي الرحلة التي أنكر خلالها ثراء بني أمية وتأويلاتهم الخاطئة للدين ، ومن ثم فقد اعتبر معبد من تلاميذ أبي ذر.

ومما لا شك فيه أن معبداً الجهني وعطاء بن يسار والحسن البصري قد التقوا بعضهم ببعض ، وأن كل واحد منهم قد تأثر بالآخر ، في وقت كان القول فيه بحرية الإرادة الإنسانية ، ومسئولية العبد عما يفعل أمراً لا ترضاه السلطة الحاكمة[2] ، والتي

="إني سلطان الله في أرضه وحارسه على ماله ،جعلني عليكم قفلاً ،إن شاء أن يفتحني لإعطائكم ، وإن شاء يقفلني "!! مما مهد لتحول كبير انتهى بخضوع الجميع للسلطة السياسية .انظر في تفصيل أشمل وأدق :رضا الزواوي :من العقيدة إلى السياسة .المجلة التونسية للدراسات الفلسفية .تونس ١٩٨٤م العدد الثاني ص٤٣ وما بعدها ،فهمي هويدي :القرآن والسلطان .دار الشروق .بيروت ١٩٨١م ص١٤ ،١٣٣ ،١٣٤،سعيد بن سعيد :دولة الخلافة .دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي .دار النشر المغربية .الدار البيضاء ١٩٨٠م ص٨٥ ،عبد القادر عودة :الإسلام وأوضاعنا السياسية .القاهرة ١٩٥١م ص٣١ ، laoust .h :les schismes de l'islam .introduction a une etude de la religion musulmane .paris 1965 p37 : 62 ,gardet .l :la cit musulmane vie sociale et politique .paris 1961 p120،وأيضاً ما يقوله الإمام ابن تيمية - رحمه الله – في "السياسة الشرعية "مطبعة الحاجي .القاهرة ١٩٦٣م ص٧٤ "إن الإسلام دين ودنيا ، ويجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ،بل لا قيام للدين إلا بها ".وما يقوله الشيخ محمود شلتوت في "من توجيهات الإسلام "دار الشعب .القاهرة ١٩٥٧ ص١٢٨ "يصعب أن نفرق في الإسلام بين ما يمكن أن يُسمى ديناً فقط أو سياسة فقط ،فكل ما يتعلق بالعقيدة والعبادة دين ،ويمكن أن يُسمى سياسة الإسلام الاقتصادية والاجتماعية ،وكل ما يتعلق بالحكم وتدبير مصالح المسلمين في دنياهم دين أيضاً ،ويمكن أن يُسمى سياسة الإسلام في الحكم وإدارة الدولة ،وهكذا يرتبط الدين بالدولة ارتباطاً كبيراً "وانظر :ابن عبد ربه :العقد الفريد .تحقيق .محمد سعيد العريان . القاهرة ١٩٤٥م ج١ ص٥ فصل "اللؤلؤة في وصف السلطان " .وعلى الجانب الذي يمثل وجهة نظر مغايرة لارتباط الدين بالدولة إسلامياً .انظر ،وفي مواضع مختلفة :خالد محمد خالد :من هنا نبدأ .القاهرة ١٩٦٦م، علي عبد الرازق :الإسلام وأصول الحكم .

[1]- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة ج١ ص٣٥ ،ابن قتيبة :المعارف ص٤٨٤

[2]- كان القول بحرية الإراده مرفوضاً من بني أمية ،حتى أن الحسن البصري كان يتبنى مذهب "التفية "فنجده في الوقت الذي يقال عنه "لولا سيف الحجاج ولسان الحسن ما قام لبني مروان أمر" نجده يقول في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "أما والله لقد قتلتموه سهماً من مرامي الله غير سؤوم لأمر الله ،ولا سروقة لمال الله،=

جندت لها بعض " شيوخ البلاط " كي تضفي على توجهاتها الجبرية طابعاً شرعياً تتجنب إليه العامة وجمهور الناس ، تلك العامة التي لم يكن بنو أمية يستطيعون – ولا يريدون – تجاهلها[1] ، ... هذا ويمكن التأكيد على أن معبداً الجهني قد كان من كبار التابعين ، أخذ عن أبي ذر الغفاري ، وأخذ كثيرون عن معبد : مثل مالك بن دينار وغيره من زهّاد البصرة وعلمائها .

وينقسم المؤرخون على أنفسهم حين يؤرخون لمعبد ؛ ففي الوقت الذي يذهب البعض إلى اعتبار معبد الجهني من رجال الدعوة الإسلامية[2] ، نرى البعض الآخر يُرجع الأثر الذي شكّل وجدان معبد إلى نصراني من الأساورة اسمه أبو يونس ، ويعرف بالأسواري[3] ، مما دفع البعض إلى رفض تلك الفكرة جملة وتفصيلاً ، واعتبار " كل محاولة لربط عقائد أصحاب مذهب الإرادة الحرة في الإسلام بنصراني أسلم ثم تنصّر ، محاولة غير صحيحة ، سار عليها أصحاب الفرق المختلفة "[4] . لهذا نجد قول الشهرستاني " القول بالقدر ، وإنما سلكوا في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي "[5] .ونجد قول طاش كبرى زادة " وهكذا كان الخلاف يتدرج شيئاً

=أعطى للقرآن عزائمه فيما له وعليه ؛فأحل حلاله وحرم حرامه ،حتى أورده ذلك رياضاً مونقة وحدائق معدقة "وفي ذلك يقول البلخي :قال حماد عن أيوب السجستاني :ما أعياني الحسن في شيء ،ما أعياني في القدر ،حتى خوفته بالسلطان ،على سبيل النصح ،كي لا يعلم السلطان لشدة سطوته ،لأن بني أمية كانت مجمعة – إلا القليل – على الإجبار .انظر :الجاحظ :البيان والتبيين .دار الكتب الحديثة ج٣ ص٨٨ ،البلخي : فضل الاعتزال .ص٨٧ ،ابن قتيبة :تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء الحديث .مكتبة المتنبي .مصر . ص٣٣ ، حسين مروة :النزعات المادية ج١ ص٦٤٠ ،٦٤١.

[1]- ابن العماد :شذرات الذهب .ج١ ص٨٧ ،٨٨ ،الذهبي :ميزان الاعتدال .ج٣ ص١٨٣ ، د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي ج١ ص٣١٤ ، ٣١٥، Montgomery.W :political of the Mu'tazilah . p4

[2]- في قول الذهبي "معبد الجهني تابعي صدوق في نفسه "انظر :الذهبي :ميزان الاعتدال ج٣ ص١٨٣

[3]- أبو الفتح الشهرستاني :الملل والنحل .تحقيق .محمد سيد كيلاني .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٧٦م ج١ ص٤٧ هامش ١ ،أبو المطهر الإسفرايني :التبصير في الدين. تحقيق .محمد زاهد الكوثري .مطبعة الأنوار .القاهرة ١٩٥٥م ص١٣ ،ابن كثير :البداية والنهاية ج٩ ص٣٤ ،القاضي عبد الجبار .المنية والأمل .ص٣٠

[4]- د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي ج١ ص٣١٩

[5]- الشهرستاني :الملل والنحل ج١ ص٤٧،ويقول أيضاً في نفس هذا الموضع :ذكر بعض المؤرخين أن معبداً الجهني المتوفى سنة ٨٠هـ كان أول من تكلم في الإسلام=

فشيئاً ، إلى آخر أيام الصحابة ، حتى ظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ويونس الأسواري ، وخالفوا في القدر وإسناد جميع الأمور إلى تقدير الله تعالى ، وهلم جرا ، إلى أن ظهرت قواعد الاعتزال ونشأت مذاهب الضلال ، حتى تفرق أهل الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة "[1] .

وهذا يدلنا على مدى أثر معبد الجهني فيمن سيأتي بعده من رجال المعتزلة .

٣- غيلان الدمشقي :

والشخصية الثالثة التي تناغمت مع قناعاتها ، ورفعت صوتها تعلن بالاختيار دعماً لشرعية التكاليف ، رغم أن الثمن المدفوع كان - بحق - باهظاً ! .. هذه الشخصية هي شخصية غيلان الدمشقي .

وتذهب أغلب المصادر التي أرخت للفرق الإسلامية إلى القول بأن غيلان الدمشقي قد أخذ العلم على يد كل من الحسن البصري ومعبد الجهني والحسن بن محمد بن الحنفية[2] ، الذي كان كثيراً ما يقول عن غيلان إنه حجة الله على أهل الشام ... ولكن الفتى مقتول .!!!

وكما انقسم المؤرخون على أنفسهم في تقييم معبد الجهني ، نجدهم منقسمين على أنفسهم - كذلك - في تقييم غيلان الدمشقي ، لكن الأمر الذي يثير أكثر من علامة استفهام هو : لماذا يتهم كل من يخالف الفكر الأشعري بالخروج عن " الجماعة " ؟ ذلك لأن الباحث كثيراً ما يجد الهجوم على مخالفي الأشعرية دائماً ما يأخذ شكل

=بالقدر ،وذكروا أنه أخذ ذلك عن نصراني من الأساورة اسمه أبو يونس سنسوية ،ويعرف بالأسواري .وعن معبد الجهني أخذ القول بالقدر غيلان الدمشقي، وبالغ في القول بنفي القدر ،وقد هم عمر بن عبد العزيز بقتله .

[1]- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة ج٢ ص١٦٣

[2]- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٣ ،البلخي :فضل الاعتزال .ص٧٦ ،أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص١٣٦ ،عبد القاهر البغدادي :الفرق بين الفرق .مطبعة المعارف .ص١٢٢ ،الإسفراييني : التبصير في الدين .ص٥٩ ،٦٠

المهاجمة العنيفة ، والتي يكون أقل قول فيها " الخروج عن أهل السنة والجماعة " و " الخروج عن إجماع الأمة "[1] .!!

وتبييناً لذلك ، ما نجده عند صاحب " المعارف " وهو يؤرّخ لغيلان الدمشقي حيث يقول : كان قبطياً قدرياً ، ولم يتكلم أحد في القدر قبله ودعا إليه إلا معبد الجهني ، وأخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق ، وكانوا يرون أن ذلك من دعوة عمر بن عبد العزيز عليه[2] .

وواضح من هذه الرواية المبتسرة أن ابن قتيبة لم يكلف نفسه مشقة البحث في أصل " دعوة عمر بن عبد العزيز عليه " هذه !! ولا لماذا صلبه هشام بن عبد الملك – أحول بني أمية وعاتيها – ، ذلك لأن ذكر هذه الواقعة هكذا مقطوعة من سياقها الاجتماعي والسياسي يوحي للمطالع أن الرجل – غيلان – قد صُلب على باب كيسان بدمشق لشيء قد كان في عقيدته ، خاصةً وأن ابن قتيبة يعتمد في روايته على الأوزاعي الذي كان من المتملقين لسلطان بني أمية ، ومن ثم يكون تبرير الأوزاعي قتل غيلان أمراً لا يخلو من ميل أو هوى أو غرض !! ، خاصة إذا علمنا أن الأمر يتعلق برجل كان يقف بالمرصاد لطغيان بني أمية ومظالمهم .

وإلى قريب من هذا يذهب صاحب " سرح العيون " .ولنتركه يروي لنا طرفاً من علاقة عمر بن عبد العزيز بغيلان الدمشقي ، ثم نترك القاضي عبد الجبار يروي لنا طرفاً آخر من تلك العلاقة .

---

[1]- لعل من الأدلة على ذلك ما أورده – قديماً – ابن خلدون في وصفه مخالفي الأشعرية بالملحدة والمبتدعة ،حتى أنه يوصي من يريد أن يكون صحيح الاعتقاد بمطالعة كتب محددة مثل :الإرشاد ،وما كتبه أبو حامد الغزالي وابن الخطيب ،مع علمنا بالنتائج التي قد كانت بعد هجوم الغزالي على الفلسفة والفلاسفة ، حتى صارت دراسة المنطق زندقة ،بشعار"من تمنطق فقد تزندق "!! وصارت دراسة الفلسفة كفراً !! ثم شمل الأمر علوماً أخرى كالرياضيات .وما ورد – حديثاً – من اتهام الفلسفة – عامة – وفلسفة أرسطو – خاصة – والفلاسفة العرب - عامة – وابن رشد – خاصة - بأنهم وراء ما نعانيه من بلاء وإفساد للتراث الإسلامي ،الذي لم يدافع عنه أحد كالإمام الغزالي !!! انظر :ابن خلدون :المقدمة .دار القلم .بيروت ١٩٨٤م ط٥ ص٤٦٧ ،د.توفيق الطويل :قصة النزاع بين الدين والفلسفة .مصر ١٩٥٨م ص١١٠ وما بعدها ، د.عبد الحليم محمود :سراب وماء . جريدة الأهرام القاهرية .عدد ١٩٧٢/١٠/٢٩م ص٧

[2]- ابن قتيبة :المعارف .ص٤٨٤

يقول ابن نباتة المصري : غيلان الدمشقي هو ابن يونس القدري الدمشقي ، كان أبوه مولى عثمان بن عفان .وغيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الإسلام، وقيل إن أول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصرانياً فأسلم ، وأخذ عنه غيلان الدمشقي ومعبد الجهني .قيل لغيلان : من كان أشد عليك ؟ قال : عمر بن عبد العزيز ، كأنما كان يُلقّن من السماء .وقال إن مهاجراً قال : بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلاناً[1] نطقا في القدرة ، فأرسل إليهما ، وقال : ما الأمر الذي تنطقان به؟ قالا : هو ما قال الله يا أمير المؤمنين ، قال : وما قال الله ؟ قالا : هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، ثم قال : وقال الله تعالى : إنّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً .ثم سكتا ، فقال اقرءا فقرءا حتى بلغا إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ، وما تشاؤن إلا أن يشاء الله .إلى آخر السورة .قال عمر : كيف ترياني يا ابني الأتانة !! تأخذان الفروع وتدعان الأصول ؟ .ثم بلغ عمر أنهما أسرفا فأرسل إليهما وهومغضب فقال لهما : ألم يكن في علم الله حين أمر إبليس بالسجود أن لا يسجد ؟ قالا : نعم[2] ، فقال عمر : ألم يكن في سابق علم الله حين نهى آدم عن الشجرة أن يأكلا منها ، فألهمهما أن يأكلا منها ؟ قالا : نعم[3] .فأمر عمر بإخراجهما[4] .

وكان غيلان قد تاب على يدي عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر : اللهم إن كان كاذباً ، فلا تمته حتى تذيقه حر السيف .فقطّعت يداه ورجلاه وصلب في أيام هشام بن عبد الملك[5] .

---

[1]- يقصد صالحاً صاحب غيلان الدمشقي

[2]- هكذا في النص ،والأولى :بلى .ويقول مهاجر إنه قد أشار إليهما بهذه الإجابة حتى لا يذبحهما عمر!!!

[3]- هكذا في النص أيضاً ،وأيضاً الإجابة جاءت بإشارة من ابن مهاجر

[4]- ابن نباتة المصري :سرح العيون .شرح رسالة ابن زيدون .مطبعة الموسوعات . مصر ١٣٢١هـ ص٢٠١ :٢٠٣ ، أبو الحسن الملطي :التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع. تحقيق .محمد راهد الكوثري .القاهرة ١٣٨٦هـ .ص١٥٨ ،١٥٩ ،ابن كثير :البداية والنهاية ج٩ ص٣٥٢

[5]- تم ذلك لهشام بن عبد الملك بعد أن استفتى الأوزاعي في قتل غيلان وصاحبه صالح ،فأفتاه بذلك بعد مناظرة صورية بين الأوزاعي وغيلان ،ثبت فيها غيلان على=

وإذا كنا قد عرضنا لموقف ابن نباتة من غيلان وتوجهاته العقائدية ، فلا بد وأن نعرض – كذلك – للجانب الآخر من المؤرخين ، والذي يتبنى وجهة نظر غير تلك التي وجدناها عند ابن نباتة ، وذلك لكي نقف على السبب الذي كان وراء قتل غيلان صلباً على باب دمشق ، وهل كان السبب يخفي وراءه ما يخفي من دوافع عقائدية – كما يقول البعض – أم أنها كانت عوامل سياسية أخفاها بنوأمية تحت ستار من التأويلات العقائدية ، تخوفاً منهم من غيلان والغيلانية ، والتي أصبحت اتجاهاً سياسيا يرفض الظلم الواقع على مسلمي ذلك الزمان باسم الجبر .

يقول القاضي عبد الجبار عن رسالة لغيلان إلى عمر بن عبد العزيز : أبصرت يا عمر وما كدت ، ونظرت وما كدت ، اعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقاً بالياً ورسماً عافياً ، فيا ميتاً بين أموات ألا ترى أثراً فتتبع ، ولا تسمع صوتاً فتنتفع ؟ طفا أمر السنة ، وظهرت البدعة ، أخيف العالم فلا يتكلم ، ولا يُعطى الجاهل فيسأل، وربما نجت الأمة بالإمام ، فانظر أي الأمامين أنت ، فإنه تعالى لا يقول تعالوا إلى النار ، إذن لا يتبعه أحد ، ولكن الدعاة إلى النار هم الدعاة إلى المعاصي ، فهل وجدت يا عمر حكيماً يعيب ما صنع ؟ أو يصنع ما يعيب ؟ أو يعنب على ما قضى؟ أو يقضي ما يعنب عليه ؟ أم هل وجدت رشيداً يدعو إلى الهدى ثم يضل عنه ؟ أم هل وجدت رحيماً يكلف العباد فوق الطاقة أو يعنبهم على الطاعة ؟ أم هل وجدت عدلاً يحمل الناس على الظلم والتظالم ؟ وهل وجدت صادقاً يحمل الناس على الكذب أو التكاذب بينهم ؟ كفى ببيان هذا بياناً ، وبالعمى عنه عمى[1] .

ثم يقول : وُلي عمر بن عبد العزيز الخزائن ، فوقف -- غيلان -- يبيعها في سوق دمشق ، وبها خزائن بني أمية ، وهويقول : تعالوا إلى متاع الخونة ، تعالوا

=عقيدته في الاختيار ،فأولى الأوراعي لهشام بعلمه. والمناظرة – فيما يرى الدارس – فيها الكثير من الاختلاق ،لأن الأسئلة البلاغية التي طرحها الأوراعي على غيلان لم يكن من الصعوبة بحيث تعجز أو تسعصي عليه - غيلان – وهو من هو في معرفته بعلوم الدين ،لكنها كانت مجرد إجراء سياسي أراد به هشام بن عبد الملك أن يضفي شرعية دينية على قتله غيلان وصاحبه . انظر :د.البشار :نشأة الفكر الفلسفي ج١ ص١١٢

[1]- القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال . ص٢٣٢، ٢٣٣، ابن المرتضى :طبقات المعتزلة ص٣٥، د.البشار :نشأة الفكر الفلسفي ج١ ص٢٣٤

إلى متاع الظلمة ، تعالوا ` إلى متاع من خلف الرسول في أمته بغير سنته ، من يعذرني ممن يزعم أن هؤلاء كانوا أئمة هدى وهذا متاعهم والناس يموتون من الجوع ؟ .وقد رآه هشام بن عبد الملك فاستشاط غضباً وقال : أرى هذا يعيبني ويعيب آبائي ، والله إن ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه .وحين ولي هشام الخلافة خرج غيلان وصاحبه إلى أرمينية يعيبان على هشام مظالمه ومظالم بني أمية باسم الجبر ، أو باسم الحق الإلهي ، فأرسل هشام في طلبهما وناقشهما ، فقال : زعمت أن ما في الدنيا ليس هو عطاء من الله لنا .فقال غيلان : أعوذ بالله أن يأتمن خواناً ، أو أن يستخلف الخلفاء من خلقه فجاراً ، إن أئمته القوامون بأحكامه الراهبون لمقامه ، الذين كابدوا بالعدل الدول ، وخافوا مقاماً لا يجدون عنه حولاً ، ولا يتعللون بالعلل ، باتوا ومقامهم المحمود وليلهم المشهود بطول القيام والسجود ، لم يولّ الله وثاباً على الفجور ، ولا ركّاباً للمحظور ، ولا شهّاداً للزور ، ولا شرّاباً للخمور .عند ذلك أمر هشام بحبسه ، ثم أخرجه وأمر بقطع يديه ورجليه ، وجاءه متشفياً يقول له : كيف ترى ما صنع الله بك ؟ فقال غيلان : لعن الله من فعل بي هذا .وكان غيلان يقول – وهو مقطّع اليدين والرجلين ،وكان صاحبه صالح قد مات عطشاً – : قاتلهم الله ، ... كم من حق قد أماتوه ، وكم من باطل قد أحيوه ، وكم من ذليل في دين الله قد أعزوه، وكم من عزيز في دين الله قد أذلوه .وجاءه الجند يقطعون لسانه ، فقال : لا أعين على نفسي أبداً .فكسروا فكيه واستخرجوا لسانه فقطعوه .فمات .. يرحمه الله[1] .

؟؟؟؟؟؟

ثانياً : نشأة المعتزلة بين التأريخ والنقد :

مما لاشك فيه أن علم الكلام علم إسلامي النشأة والأصل ، تأسيساً على أن بناءه قد كان على أساس من النص الديني نفسه ، كما أن المعتزلة تعد أكثر الفرق الكلامية

---

[1]- ابن المرتضي :طبقات المعتزلة .ص٢٧ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي ج١ ص٣٢٤

اتجاهاً نحو العقل وتعويلاً عليه ، ولنقل – مع ابن رشد – : إن مذهب الفلاسفة في المبدأ الأول هو قريب من مذهب المعتزلة[1] .

وليس من نافلة القول الذهاب إلى الأقرار بأن البحث في أصول الفكر الاعتزالي يجب أن يتخذ له – ضمن ما يتخذ – طريقاً من خلال البحث في أصل تسمية رجال المعتزلة ، ذلك لأن البحث في تلك المشكلة ، سواء لزمتهم التسمية من غيرهم أو أطلقت عليهم من أنفسهم ، حري بأن يكشف لنا عن مسألة نراها واحدة من أهم المسائل في التاريخ الفكري ، بل والعقائدي للفرق الإسلامية ، ونعني بتلك المسألة : أصول حركة المعتزلة وذلك الطابع الخاص الذي صار ملازماً لفريق الاعتزال ورجاله[2] ، ذلك كله إذا وضعنا في الحسبان أن البحث في ذلك الأصل سيعتمد على المنحى الفلسفي النقدي ، أكثر من اعتماده على المنحى التاريخي السردي ، لأنه إذا كان النقد يعد من علامات النضج العقلي والصحة المعرفية ، فإن أهميته تظهر أكثر ما تظهر في الدراسات الفلسفية – بوجه عام – وما يتعلق منها بالجانب الديني – بوجه خاص – على أمل أن يميز لنا النقد بين الغث والسمين ، وبين الأصيل والمنحول ، علاوة على أن البحث في " إشكالية التسمية " !! يرجى من ورائه حسم هذه " الإشكالية " كي نوجد حلاً جذرياً يكشف – ربما – ما يمكن أن نسميه " التآمر المعرفي " الذي أحاط بتاريخ المعتزلة ، فضلاً عن مذهبهم .. وأيضاً يكشف – ربما – عن أبعاد ".الثأر المعنوي " الذي مُورس ضد المعتزلة فكرةً وأشخاصاً .

وإنه لمن المسلمات جواز اعتبار مدرسة[3] المعتزلة من أعظم مدارس الفكر والكلام ، تلك المدارس التي عُرفت في صدر الإسلام الأول ، وفي القرن الثاني الهجري .

---

[1]- ابن رشد :تهافت التهافت .تحقيق د.سليمان دنيا .دار المعارف .القاهرة ١٩٨٠م ص٣٧٢

[2]- نللينو :بحوث في المعتزلة .ضمن كتاب " التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية "ترجمة د.عبد الرحمن بدوى .دار النهضة العربية .القاهرة ١٩٦٥م ط٣ ص١٧٣

[3]- من الطريف وجود التفرقة بين مدرسه وفرقة ،حيث شاع استخدام اللفظين قديماً معاً "فكلمة مدرسة آتية من المدرسية Scholasicim ولذلك تعتبر المعتزلة مدرسة وليست فرقة ،تأسيساً على أن الفرقة هي التي تشكل لنفسها أنظمة دقيقة خاصة=

وتكاد الكتب التي أرخت للمعتزلة أن تُجمع على أن المعتزلة قد تعرضوا لهجمات عنيفة وشديدة شنها عليهم خصومهم ومخالفوهم ، ولما لم يستطع المعتزلة الصمود أمام تلك الهجمات ، قضوا تاركين وراءهم ما جعل الباحث من بعدهم يستشعر الأسى لضياع ذلك التراث القيّم ، والذي لا يشك أحد أن من أسباب فقده وضياعه أسباباً خضعت في كثير من الأحيان للعصبية المذهبية أو الأحداث السياسية.

إلا أن هذا الأمر يهون أمام ما تعرض له فكر المعتزلة نفسه من تشويه وتحريف، حيث انقضت مدة كان على الباحثين في تراث المعتزلة أن يعتمدوا في دراساتهم تلك على أقوال الخصوم[1] والمعادين ،وأغلبهم كانوا متعصبين على المعتزلة غير منصفين لهم[2] .

=بها ،ولما كان الدين والدنيا – إسلامياً - مجتمعين ،وكان منصب الخليفة دينياً ودنيوياً ، فإن الفرق الإسلامية كونت أنظمة سياسية واجتماعية ،كما فعل الشيعة والخوارج ،أما المعتزلة فلم تكن مثل تلك الأنظمة موجودة عندهم ،ولا كانوا مفترقين عن أهل السنة والجماعة ،لكن المؤرخين المسلمين الأوائل لم يفرقوا بين الفرقة وبين المدرسة الفكرية، فكانوا يطلقون لفظ الفرقة على الشيعة والخوارج ،كما كانوا يطلقونه على المدارس الفكرية الكلامية كالمرجئة والمعتزلة ،ذلك بأنهم وقد فهموا صحة الحديث النبوي الشريف "إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ،وأمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ،كلها في النار إلا فرقة واحدة :وهي الجماعة "قد راحوا يحاولون تنظيم الفرق الإسلامية حتى جعلوها اثنتين وسبعين فرقة ،مصداقاً للوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم "انظر :زهدي جار الله :المعتزلة .مصر ١٩٤٧م ص١ وما بعدها ،ابن المرتضي :طبقات المعتزلة .ص٣ ،أبو رشيد النيسابوري :المسائل في الخلاف .ص٤ ،٥ ،عبد القاهر البغدادي :الفرق بين الفرق .تحقيق .محمد بدير .مصر ١٩١٠م ص٥ ، محمد بن عبد الله " الحاكم النيسابوري " : المستدرك على الصحيحين في الحديث . تحقيق . مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١١هـ ط١ ج٤ ص٤٧٧

[1]- ظل هذا الأمر يفرض نفسه على الساحة الثقافية بدرجة كبيرة ،حتى قيام بعثة من وزارة المعارف المصرية إلى اليمن الشقيق عامي ١٩٥١م ،١٩٥٢م للبحث عن عيون التراث الاعتزالي القيّم ،مما كشف لنا عن كثير من دقائق تلك المدرسة على لسان شيوخها .انظر :زهدي جار الله :المعتزلة .ص ل ،أبو رشيد النيسابوري : المسائل في الخلاف .ص٤ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٥ ،الحسن بن متوية : التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض .تحقيق .د.سامي نصر لطف ،د.فيصل بدير عون . تصدير .د.إبراهيم بيومي مدكور .دار الثقافة للطباعة والنشر .القاهرة ١٩٧٥م ص١

[2]- زهدي جار الله :المعتزلة .ص ل ،أبو رشيد :المسائل في الخلاف .ص ٣ :٥

ومن المعروف أن نشأة المعتزلة الرسمية قد كانت في مدينة البصرة[1] ، حيث سيشهد فيها التاريخ التحولات السياسية والفكرية والعلمية والروحية[2] ، حيث نجد التوجه العثماني في السياسة قد كان يتمثل في مدينة البصرة أكثر من غيرها ، مما حدا بعلي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – أن يراجع طلحة والزبير حين استئذناه للخروج لآداء العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، لعلكما تريدان البصرة أو الشام[3] ، وهذا القول من الإمام علي رضي الله عنه يدل على إدراكه ولاء البلدين لغيره ، وسنعلم – بعد ذلك – أن هذا الطابع سيظل مميزاً للبصرة حتى بين مفكري المعتزلة من مدرسة البصرة[4] .

وهذا ما سيدفع بعض الباحثين إلى القول بأن البصرة " عثمانية تدين بالكف ، وتقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل "[5] .

كما أننا سنجد أن حركة المرجئة قد ظهرت نواتها الأولى في البصرة ، تماماً مثلما ستظهر نواة القول بالقدر فيها ، والأفكار الاعتزالية الأولى ، سواء على يد أبي

---

[1]- جاء في ذلك – فخراً – قول أبي بكر الخوارزمي "إن العراق يحسد على أشياء كثيرة ..منها أن الاعتزال بصري " انظر :رسائل الخوارزمي .ص٣٠ نقلاً عن :زهدى جار الله :المعتزلة .ص٣٤٣ ،ومدينة البصرة فتحها القائد العربي عقبة بن غزوان في منتصف القرن الأول الهجري . والبصرة ، بحكم موقعها الجغرافي ،كانت وما زالت ملتقى طرق تجارية هامة ،وقد قامت البصرة على حدود العراق على بعد بضعة أميال شمال الحيرة . انظر :ابن كثير :البداية والنهاية ج٧ ص٤٧ ، ٤٨ ، ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان . دار الفكر . بيروت . ج١ ص٤٣٠ وما بعدها ، د.سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .القاهرة ١٩٨٦م ص٣

[2]- د.أحمد صالح العلى :التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .دار الطليعة . بيروت ١٩٦٦م ص٣٩ ، الحسن الأصفهاني :تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء .ص٩٨ ، ١٠٤ ،فيليب حتى :تاريخ العرب .ج١ ص١٥١ ، بارتولد :تاريخ الحضارة الإسلامية .ترجمة حمزه طاهر .مصر ١٩٦٦م ط٤ ص٥٤ ، Rene,Dussaud :Las Arabes En Syrie avant L'Islam p٩

- المسعودي :مروج الذهب .ج٢ ص٣٦٦ ،د.طه حسين :الفتنة الكبرى .ج٢ ص٢٤

[4]- شارل بلات :الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء .دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر .دمشق ١٩٦ م ص١٧٥

[5]- ابن قتيبة :عيون الأخبار .وزارة الإرشاد .مصر ١٩٦٠م ج١ ص٣٠٤

حنيفة أوالحسن البصري أو واصل بن عطاء[1] ، مما حدا بالبعض أن يجعل البصرة "عش القدر "[2] .

ذلك كله إذا وضعنا في الحسبان أن معركتي الجمل وصفين قد كان لهما من النتائج المادية والمعنوية ما لايمكن للباحث إنكاره أو التقليل منه ، حيث نعلم أن المتقاتلين في هاتين المعركتين كانوا مسلمين ذوي مكانة مقدسة في نفوس الخاصة والعامة ، ومن ثم بدأت تظهر اللبنات الأولى في الفكر العملي والنظري في الإسلام ، تلك التي ساعدت على ظهور ثلاث جبهات لكل منها رأيها الذي تدافع عنه بالسلاح تارة ، وبالجدل الكلامي تارة أخرى ، وهذه الجبهات الثلاث هي : العثمانيون ، العلويون ، والحياديون .وهذه الأخيرة كانت – كما يقول بلات – أساس المذهبين : الخارجي والمعتزلي[3] .

والبحث في أصل المعتزلة أثار خلافاً كبيراً بين الباحثين المعاصرين ، حتى صار البعض يذهب إلى القول بأن الاعتزال قد صار اسماً للمعتزلة بعد أن أطلقه أهل السنة عليهم ، بينما يذهب البعض الآخر إلى أن هذه التسمية قد أطلقها المعتزلة على أنفسهم .

وهذا الخلاف ليس جديداً ، بل هو خلاف وقع فيه المؤرخون القدامى أيضاً ، .. و " ينهض تباين آرائهم حول هذه المشكلة دليلاً قاطعاً على ذلك "[4] .

---

[1]- ابن قتيبة :المصدر السابق .نفس الموضع ،طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص٥٤ ،القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٣٧

[2]- الذهبي :ميزان الاعتدال .ج٣ ص٢٠٧

[3]- شارل بلات :الجاحظ .ص٨٣ ،وسنورد – هنا – نصاً للإمام علي ،كرم الله وجهه ، يتبين لنا من خلاله كيف وظف خصوم الإمام ،رضي الله عنه ،ما هو ديني لخدمة ما هو سياسي !!حيث يقول الإمام كرّم الله وجهه :عباد الله ..امضوا على حقكم ،وصدقكم قتال عدوكم ،فإن معاوية وعمرو بن العاص "وأسماء أخرى "ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم ،قد صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً ،فكانوا شر أطفال ،وكانوا شر رجال ،ويحكم إنهم ما رفعوها – أي المصاحف – إلا خديعة ودهناً ومكيدة .الطبري :تاريخ الطبري .تحقيق .محمد أبو الفضل إبراهيم .دار المعارف .مصر ١٩٧٩م ط٤ ج٥ ص٤٨وما بعدها ،طبعة بيروت .دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ ط١ ج٣ ص١٠١ : ١١٠.واستخدام معاوية لخديعة رفع المصاحف هذه يدلنا على الاستخدام النفعي المبكر لما هو ديني حسب مقتضيات اللعبة السياسية ومفرداتها.

[4]- البلخي :فضل الاعتزال .ص١٢، ١٣

وإذا كان تباين آراء المتقدمين حول نشأة المعتزلة سبباً نفهم من خلاله الخلاف الكائن بين الباحثين المعاصرين ، فإن ما يدعم هذا الرأي اختلاف المدارس المعتزلية نفسها ؛ ففي الوقت الذي انقسمت فيه المعتزلة إلى مدرستين : مدرسة البصرة ، ومدرسة بغداد[1] ، نجد أن أتباع كل مدرسة كان بينهم من الاختلاف ما لايجوز التقليل من شأنه[2] .

والخلاف القائم حول أصل المعتزلة لم يقتصر على نسبة الاعتزال إلى واصل بن عطاء ، أو إلى عمرو بن عبيد ، بل يمتد هذا الخلاف ليشمل الذي أطلق اللقب نفسه على المعتزلة : هل هو الحسن البصري ، أم قتادة بن دعامة السدوسي ، أم هم المعتزلة أنفسهم ؟ .

ولقد كان لرواية اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري النصيب الأكبر في تفسير نشأة الاعتزال ، وفي ذلك يقول البغدادي : واصل بن عطاء الغزّال رأس المعتزلة ، وداعيتهم إلى بدعتهم (!!!)* بعد معبد الجهني وغيلان الدمشقي ، وكان من منتابي مجلس الحسن البصري في زمن فتنة الأزارقة ، وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب الكبيرة من أمة الإسلام على فرق : فرقة تزعم أن مرتكب الصغيرة أو الكبيرة كافر مشرك بالله ، وكان هذا القول هو قول الأزارقة من الخوارج ، وزعم هؤلاء أن أطفال المشركين مشركون ، ولذلك استحلوا قتل الأطفال من مخالفيهم ، وقتل نسائهم .وخالفتهم الصفرية في الأطفال .وزعمت النجدات أن

---

[1]- انقسم المعتزلة إلى هاتين المدرستين ،وكان السبب الأول والأهم في ذلك هو المسأله السياسية المتمثلة في مشكلة الإمامة وقضية التفضيل ،وقد أسس واصل بن عطاء مدرسة البصرة ،وأسس بشر بن المعتمر مدرسة بغداد ..وسوف نعرض لهاتين المدرستين في الفصل الثاني من هذا القسم .

[2]- الاختلاف بين مدارس المعتزلة ينقسم الباحثون بشأنه إلى قسمين :قسم يرى أن الاختلاف غير جوهري، ويقتصر على المسائل الثانوية .انظر :سيديو :تاريخ العرب العام ،ترجمه .عادل زعيتر .مطبعه الحلبي . القاهرة ١٩٤٨م ص٣٩٣ ،وقسم يتعدى ت الخلاف المسائل الثانويه إالفروع إلى الأصول .انظر :ابن المرتضي : طبقات معتزله ص هـ

* ما بين الأقواس ،عن علامات التعجب ،هو من عندنا دليل دهشة واستغراب ، لأنه - بص عبر عن التعامل غير الموضوعي مع آراء الغير .

صاحب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك .وذهب علماء التابعين في ذلك العصر وأكثر الأمة إلى أن صاحب الكبيرة مؤمن لمعرفته بالله وتوحيده وصفاته وعدله وحكمته ، ومعرفته بالرسل والكتب المنزّلة ، وبأن كل ما جاء من عند الله حق ، ولكنه – هذا الشخص – فاسق .وخرج واصل عن قول هذه الفرق كلها ، وزعم أن الفاسق من الأمة لا مؤمن ولا كافر ، فطرده (!!!) الحسن عن مجلسه لهذه البدعة ، فانضم إليه جماعة من الناس عند سارية من سواري مسجد البصرة ، منهم عمرو بن عبيد ، فقال الناس فيهما : قد اعتزلا قول الأمة (!!!) فسموا من يومئذ معتزلة[1] .

ويقول الشهرستاني : دخل واحد على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبيرة ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبيرة ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركناً من الإيمان ، ولا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين : لا مؤمن ولا كافر .ثم قام واعتزل إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد يقرر ما أجاب عنه على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل .فسمي هو وأصحابه معتزلة[2] .

ويورد لنا طاش كبرى زادة رواية ثالثة في هذا الأمر ، فيقول : إن عطاء بن يسار ومعبد الجهني جاءا إلى الحسن البصري وقالا : يا أبا سعيد هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما هي أعمالنا تجري على قدر الله تعالى .وظهرت أيضاً طائفة يكفّرون مرتكب الكبيرة ، وطائفة أخرى يقولون لا

---

[1]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص٩٧، ٩٨.
[2]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٨

تضر. مع الإيمان كبيرة .وقد سأل رجل منهم الحسن البصري عن حال هاتين الطائفتين ، فقبل أن يتكلم الحسن قال واصل بن عطاء : إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر .أثبت منزلة بين المنزلتين ، وأصر على ذلك ، حتى طرده الحسن عن مجلسه ، فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد ، فسموا المعتزلة[1] .

هذه الروايات الثلاث تذهب إلى اعتبار أن واصلاً بن عطاء هو مؤسس مذهب الاعتزال منذ أن قال بالمنزلة بين المنزلتين ، وأن من أطلق عليهم هذا اللقب هو الحسن البصري ، لما اعتزلوا – كما قيل – قول الأمة .

لكن طاش كبرى زادة سرعان ما يورد لنا رواية غير تلك التي أوردها آنفاً .. فيقول : إن الذي سماهم بهذا قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه ، كان تابعياً كبيراً ، دخل مسجد البصرة ، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر من من معه ، فأمّهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري ، فلما عرف أنها ليست هي قال : إنما هؤلاء المعتزلة .ثم قام عنهم ، فمنذ يومئذ سموا المعتزلة[2] .

فأصل المعتزلة – وفق هذه الرواية – هو عمرو بن عبيد ، وليس واصلاً بن عطاء ، والذي سمّاهم بهذا هو قتادة بن دعامة السدوسي ، وليس الحسن البصري .

إلا أنه لا يمكن التسليم بهذه الرواية ، ونسبة الاعتزال إليها لمجرد أنها قد ذُكرت في بعض كتب المؤرخين ، ذلك لأنها تعبر – فقط – عن وجهة نظر أهل السنة في المعتزلة ، والذين اعتقدوا – غالبيتهم – أن الاعتزال خروج عن الدين ، ولذلك قالوا عنهم إنهم اعتزلوا " قول الأمة " مع أنه لا يجوز اعتبار المعتزلة قد" اعتزلوا " " قول الأمة " في هذا الأمر لسببين :

السبب الأول :

1- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٢ ،المقريزي :الخطط المقريزية مطبعة الحلبي .القاهرة ١٣٢٦هـ ج٤ ص١٦٤

2- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٢ ،ابن خلكان :وفيات الأعيان تحقيق د.إحسان عباس .دار الثقافة .بيروت .ج١ ص٦٠٩ ،المقريزي : الخطط المقريزية ص١٦٤ ،ابن قتيبة :المعارف .ص٤٨٣ ، د.سعيد مراد :مدرسة البصرة .ص٤١

أن جمهور الأمة لم يكن على اتفاق بإجماع بشأن هذه المسألة ، بل إن هذه المسألة قد كانت مثار خلاف وتناقض كبيرين[1] .

السبب الثاني :

أن أجماع الأمة مرهون ، بعد القرآن الكريم ، بالسنة النبوية المطهرة ، وهي تلك التي نُقلت إلينا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بتواتر أو بخبر أو رواية آحاد – وفق معايير محددة – والمعتزلة متهمون من قبل أهل السنة – الخصوم التقليديين للمعتزلة[2] – بأنهم ألد أعداء الحديث[3] ، وبأنهم – المعتزلة – لا يعرفون الحديث معرفة كبيرة[4] ، إلا أن المعتزلة قد كان لهم رأي جدير بالاعتبار يُظهر لنا مدى تمسكهم بالسنة النبوية المطهرة ، ومدى تقديسهم للآثار الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،إذ يقول القاضي عبد الجبار في ذلك الأمر : إن التمسك بالسنة طريقتنا[5]، ويقول نافياً عن المعتزلة أجمعين فرية عدم التمسك بالسنة ، وعدم الأخذ بالأحاديث : معاذ الله أن نقول ذلك[6] ، ثم يوضح لنا القاضي عبد الجبار ذلك الكلام المجـ !.

1- البلخي :فصل الاعتزال .ص٣٢.

2- من الطريف أن أحـ[illegible]ـمد ابن حنبل ١٦ ـ[illegible]ـتى ان عمراً بن عبيد "مخلّد" في النار ،لا لشيء إلا أنه – هذا الـ[illegible]ـد – قد رأى ذلك في المنام !!! .انظر :الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد . دا "ـتب "لعلمية .بيروت .ج١٢ص١٦٦ ،١٦٨ : ١٨٨ ،وهكذا .. خلّد منام مسلماً في "نار لمجرد أن من تحدث للنائم كرر قوله ثلاثاً !! فهل ترانا – على ما يبدو – مغرمين بتأبيد الآخرين – خاصة من يخالفوننا الرأي – في جهنم ،معتمدين على رؤيا أو منام؟فما هو ابن الجوزي يروي – وبدون تمحيص – عن أحد قوله "ولما مات المعري ،رأى (بعض الناس !!) في منامه كأن أفعيين على عاتقي رجل ضرير ،قد تدليا إلى صدره ،ثم رفعا رأسيهما ،فهما ينهشان من لحمه وهو يستغيث .فقال : من هذا ؟فقيل :المعري الملحد "!!!وهكذا أصبح هذا المنام "سنداً "لمن يأتي بعد ابن الجوزي ...ولله الأمر من قبل ومن بعد .انظر :ابن الجوزي :المنتظم .ج ٨ ص١٨٨ نقلاً عن د.عائشة عبد الرحمن : أبو العلاء المعري . الهيئة المصرية العامة للكتاب .القاهرة .سلسلة الأعلام .رقم٦ سنة ١٩٧٥م ص١٦٨ ،وانظر الرأي المخالف . ص٣٧٢ :٣٧٩ من المرجع السابق .ولترى ما قاله المعري دفاعاً عن القرآن الكريم ...انظر:أبو العلاء المعرّي :رسالة الغفران . دار صادر. بيروت .ص٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧.

3- الفريد جيوم :الإسلام .ترجمة .حرجيس فتح الله .بيروت ١٩٧٣م ط٣ ص١٠٤

4- محمد أبو زهرة :تاريخ المذاهب الإسلامية .دار الفكر العربي .القاهرة ١٩٧٣م ط١ ص١٣٩

5- القاضي عبد الجبار :فصل الاعتزال .ص١٥٦

6- القاضي عبد الجبار :المصدر السابق .ص١٩٢

فيقول : إن العمل عندهم – المعتزلة – على أدلة العقول التي لا تحتمل ، وعلى أدلة السنة القاطعة[1] .

ومن ثم لا يصح قول من قال عن المعتزلة " إنهم قد ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم "[2] .

وسواء كان مؤسس الاعتزال هو واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد ، فالأمر سيان ، على اعتبار تلك المكانة الرفيعة التي كان عمرو يحملها لواصل[3] .

وإذا علمنا أن المعتزلة يوافقون على هذه التسمية ، فإن وراء تلك الموافقة سبباً نعلم من خلاله مدى إدراك المعتزلة لخطورة الأسلحة التي يستخدمها أعداؤهم ضدهم، والذين لم يتورعوا عن وصفهم بأنهم قد خالفوا " قول الأمة " بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك ، فحاولوا وصم المعتزلة بصفات ذمها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك في حديث له يقول فيه : القدرية مجوس هذه الأمة[4] .ومن ثم يكون قبول المعتزلة ذلك اللقب وسيلة من جانبهم لدفع تهمة القدرية عنهم ، حين حاول البعض إلصاقها بهم لدمغ المعتزلة بـ " المجوسية " استناداً للخبر الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

[1]- القاضي عبد الجبار :المصدر السابق .ص١٩٥

[2]- أبو إسحاق الشاطبي:الاعتصام .تعريف .محمد رشيد رضا .مكتبة أنس بن مالك . القاهرة ١٤٠٠هـ ج٢ ص١٧٦

[3]- عتب رجل من المعتزلة على عمرو بن عبيد شيئاً قد كان بينهما ،ثم أنشد معرّضاً بعمرو :

إن الزمان وما تفنى عجائبه أبقى لنا ذنباً واستأصل الرأسا

ثم قال :رحم الله واصلاً .فرفع عمرو رأسه وقد أغرورقت عيناه بالدمع ،ثم قال :نعم .. رحم الله واصلاً ،كان لي رأساً وكنت له ذنباً ،والله ما رأيت أعبدَ من واصل قط ،والله ما رأيت أزهدَ من واصل قط ،والله الذي لا إله إلا هو لقد صحبت واصلاً ثلاثين سنة ما رأيته عصى الله قط .انظر :البلخي :فضل الاعتزال .ص٦٧ ،ومن الثابت تاريخياً أن عمرو بن عبيد قد كان من جلساء الحسن البصري ،وقد حفظ عنه ،واشتهر بصحبته إلى أن أزاله عن مذهب أهل السنة .انظر :الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد .ج١٢ ص١٦٣

[4]- رواه الطبراني وأبو داود وعبرهما عن ابن عمر مرفوعاً .انظر :الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين في الحديث . ج١ ص١٥٩ ،الشهرستاني :الملل والنحل . ج١ ص٤٣ ،د.سعيد مراد .مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٤٩ ، حسين مروة :النزعات المادية .ج١ ص٦٣٨

وقد أشارت مراجع غير قليلة إلى هذه القضية ، منها ما قاله القاضي عبد الجبار نفسه في " شرح الأصول الخمسة " حيث يقول : اعلم أن القدرية عندنا هم المجبرة والمشبهة ، وعندهم المعتزلة ، فنحن نرميهم بهذا اللقب ، وهم يرموننا به ، وقد حكي عن بعضهم أنه قال : إن المعتزلة كانت تلقبنا بالقدرية ، فقلبناها عليهم ، وقد أعاننا السلطان على ذلك[1] .

ومنها ما قاله نللينو " يبدو أن هذه التسمية قد انتشرت انتشاراً بطيئاً ، إذ يتكلم ابن قتيبة عند ذكره لمذاهب عصره لا عن المعتزلة ، بل عن القدرية "[2] .ويقول : ولما أظهروا آراء مخالفة في مسائل عديدة أخرى ، مثل صفات الله ، وطبيعة القرآن، والوعد والوعيد ، ومشاكل أخرى ثانويه ، بدت هذه التسمية غير كافية ، لذلك استبدل بها لفظ المعتزلة ، ولم تعد تستعمل شيئاً فشيئاً[3] .

ومنها ما قاله الشهرستاني " المعتزلة يلقبون بالقدرية "[4] .

ومنها ما قاله دي بور " إن القدرية هم أسلاف المعتزلة ، وإن هؤلاء الأخيرين هم خلفاء القدرية "[5] .

ومنها ما قاله ابن قتيبة عن عمرو بن عبيد " عمرو بن عبيد كان يرى رأي القدر ويدعو إليه ، واعتزل الحسن وأصحاب له فسموا معتزلة "[6] .

ومنها ما يقوله ابن حزم " وجملة ما عُرفوا به لقب القدرية ، سماهم به أهل السنة ، وكلاهما يرفضه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " القدرية مجوس هذه

1- القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٧٧٢، ٧٧٣

2- نللينو :بحوث في المعتزلة .ضمن كتاب "التراث اليوناني" ص١٧٦

3- نللينو :المرجع السابق .ص١٧٧

4- الشهرستاني :الملل والنحل .ج٤٣ ،د. سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٤٧

5- دي بور :تاريخ الفلسفة في الإسلام .ترجمة .د.محمد عبد الهادي أبو ريدة .لجنة التأليف والترجمة والنشر .مصر ١٩٥٤م ط٣ ص٥١

6- ابن قتيبة :المعارف .ص٤٨٣

الأمة " .وسماهم أهل السنة القدرية لقولهم بحرية الإرادة واختيار المكلف ، فظنها أهل السنة تثنية ، وسموا هم بها أهل السنة لقولهم بقضاء وقدر لازمين "[1] .

واللسان العربي ينسب الشخص إلى ما يثبته لا إلى ما ينفيه ، فـ " إن من ينسب نفسه إلى أمر فإن العرب تشتق له من ذلك الاسم نسبه ، ألا ترى أنهم يقولون فيمن ينسب نفسه إلى الجبر فهو جبري ، ومن يقول بالعدل فهو عدلي "[2] ؟

وبذلك يكون المعتزلة قد نفضوا عنهم وصمة القدرية وألصقوها بغيرهم بعد قبولهم هذه التسمية[3] .

إلا أنه لا يمكن الاعتقاد بأن القول بالمنزلة بين المنزلتين يعد تفسيراً لنشأة الاعتزال وبيان أصله ، وذلك لاعتبارات عديدة ... منها :

*أن الاعتزال لا يمكن أن نفهم أصوله من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، ذلك لأن هذا الأصل كان أكثر الأصول الخمسة محلاً للخلاف بين المعتزلة أنفسهم ، وخاصة معتزلة بغداد ، الذين ينسبون أنفسهم إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين ، فلو كان هذا الأصل ، هو أهم الأصول لما جاز الاختلاف بشأنه بين المعتزلة بعد أن قال الخياط : وليس يستحق واحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر

---

[1]- ابن حزم :الرد على ابن النغريلة اليهودي .تحقيق .د.إحسان عباس .دار العروبة .مصر ١٩٦٠م ص٢٢٨.

[2]- محمود الملاحمي :الفائق في أصول الدين .مخطوط دار الكتب المصرية .القاهرة .علم كلام ٨٩/ط ص٦٤، د.سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٤٨.

[3]- يقول القاضي عبد الجبار :وهذه المسألة – يقصد المنزلة – تلقب بمسألة الأسماء والأحكام ،وذهب واصل بن عطاء إلى أن صاحب الكبيرة لا يكون مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً ،بل يكون فاسقاً .وهذا المذهب أخذه عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ،وكان من أصحابه ،وقد جرت بين واصل وعمرو بن عبيد مناظرة في هذا ،فرجع عمرو إلى مذهبه وترك حلقة الحسن البصري واعتزل جانباً ،فسموه معتزلياً ،وهذا أصل تسمية أهل العدل بالمعتزلة .انظر :القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٢٧، ١٢٨.

بالمعروف والنهي عن المنكر[1] .وبعد أن قال القاضي عبد الجبار : إن المكلف إذا عرف هذه الأصول يلزمه معرفة الفقه والشرع[2] .

*أن أعداء المعتزلة كانوا نشيطين في البحث عن " عورات " في المذهب الاعتزالي تنتقص من إسلامهم – المعتزلة – وتطعن في عقيدتهم ، فوجهوا نقدهم إلى قول المعتزلة بنفي الصفات والقول بخلق القرآن والقول بحرية الإرادة الإنسانية ، ولم يوجهوا نقدهم إلى أصل " المنزلة بين المنزلتين " ، فلو كان هذا الأصل هو أهم أصول المعتزلة ، لكان قد لقي من أهل السنة أعظم الاعتراضات[3] .

وهناك رأي آخر يحاول أن يضع تفسيراً جديداً لنشأة المعتزلة ، وقد تبنّاه النوبختي ... حيث يقول : وفرقة اعتزلت مع سعد بن أبي وقّاص وسعد بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هؤلاء اعتزلوا عن علي بن أبي طالب، وامتنعوا عن محاربته ، أو المحاربة معه ، بعد دخولهم في بيعة علي والرضا به ، فسموا معتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى الأبد ، وقالوا لا يحل قتال علي ولا القتال معه .وذكر بعض أهل العلم أن الأحنف بن قيس التميمي قد اعتزل بعد ذلك في خاصة قومه بني تميم ، لا على التدين بالاعتزال بل على طلب السلامة[4] .

وهذا رأي يعتمد على محاولة إرجاع نشأة المعتزلة إلى الأحداث التي تلت مصرع الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتبنّي معاوية – ولو ظاهرياً – فكرة الثأر للإمام المقتول ، ثم تطورت الأحداث حتى وقوع حرب صفين بين معسكري علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ووقوف

---

[1]- أبو الحسين الخياط :الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد .تحقيق د.نيبرج .مكتبة الكليات الأزهرية .القاهرة ١٩٨٨م ص١٢٧

[2]- القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص١٣٦

[3]- محمد جواد حسن :معتزلة البصرة .مخطوط ماجستير .كلية الآداب .جامعة الإسكندرية ١٩٧١م ص٨

[4]- النوبختي :فرق الشيعة .استانبول ١٩٣١م ص٥ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٣٤ ،حنا الفاخوري وخليل الجر :تاريخ الفلسفة العربية .دار المعارف .بيروت ١٩٥٧م ج١ ص١٤١ وما بعدها .

بعض الأفراد من المسلمين. ، ومنهم سعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد – وكلهم من خيرة الصحابة – موقفاً وسطاً بين علي ومعاوية : فلا هم حاربوا مع علي ، ولا هم حاربوا ضده .

ويعتمد القائلون بهذا الرأي على قولين : أحدهما لعمرو بن عبيد ، والآخر لواصل بن عطاء :

أما عمرو بن عبيد فقد قال : والله لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير ، على شراك نعل ما أجزته[1] .

وأما واصل بن عطاء ، فقد قال . كن في الفتنة كابن لبون : لا ظهر فيُركب ، ولا لبن فيُحلب[2].!!

إلا أن البلخي يرفض هذا الرأي[3] لتفسير نشأة المعتزلة ، فيقول : ومن الناس من يقولون سموا معتزلة لإعتزالهم علي بن أبي طالب في حروبه ، وليس كذلك ، لأن جمهور المعتزلة ، أكثرهم إلا القليل الشاذ منهم ، يقولون إن علياً كان على صواب وإن من حاربه فهو ضال ، وتبرّأوا منه ما لم يتب عن محاربته ، ولا يتولّون أحداً ممن حاربهم إلا إذا صحت توبته عندهم ، ومن كان بهذه الصفة فليس بمعتزل عن علي ، ولا يجوز أن يُسمى بهذا الاسم[4] .

وهناك رأي ثالث ، يذهب قائلوه إلى نفي أن يكون غير المعتزلة قد سموا المعتزلة بهذا الاسم ، ويقولون إن التسمية إنما صدرت عن المعتزلة أنفسهم ... وفي

---

[1]- الخطيب البغدادى :تاريخ بغداد .ج١٢ ص١٦٦ ،١٧٨

[2]- الجاحظ :البيان والتبيين .مطبعة الاستقامة ١٩٤٧م ج٢ ص٩٤

[3]- يُضعف من اعتراض البلخي أنه من المعتزلة ،وربما يكون قد أراد أن يُظهر أصحابه – المعتزلة – بمظهر الموالين لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

[4]- يقول البغداديون كلهم – قدماؤهم ومحدثوهم – إن علياً أفضل من أبي بكر الصديق .انظر :أبو القاسم البلخي :فضل الاعتزال .ص١٢ ،١٤ ،ابن أبي الحديد :شرح نهج البلاغة .تحقيق .أبو الفضل إبراهيم .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٥٩م .ط١.ج١ ص٧ ،وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن الزيدية لما قالت بـ "إمامة المفضول "مما يعني – ضمناً – الاعتراف بصحة خلافة أبي بكر الصديق ،وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ،لما حدث هذا انسحب كثير من أنصارهم وانضموا إلى العباسيين ،مما كان له أثر كبير في فشل الثورة الزيدية الأولى ،التي قامت عام ١٢٤هـ رغم التفاؤل الذي صاحبها لكثرة المؤيدين لها من الفقهاء والعرب والموالي .

هذا يقول الملطي : هم سموا أنفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاويةَ بن أبي سفيان[1] وسلم إليه الأمر ، اعتزلوا الحسن ومعاوية ، وجميع الناس ، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ، ولزموا منازلهم ومساجدهم ، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة ، فسموا معتزلة[2] .

ونلاحظ أن هذه الرواية ،ورواية النوبختي ،بينهما اتفاق ، كما أن بينهما اختلافاً:

أما الاتفاق .فإن الروايتين تمثلان القول بأن بدء الاعتزال يُؤرّخ له بتلك الأحداث السياسية التي أعقبت النهاية التراجيدية المحزنة للخليفة الراشد عثمان بن عفان[3] رضي الله عنه ، وربما قبل ذلك .

وأما الاختلاف .فإن النوبختي يجعل التسمية قد سماهم بها الآخرون ، بينما الملطي – كما تبين من روايته – يجعل المعتزلة هم الذين ارتضوا لأنفسهم هذا اللقب، وسموا أنفسهم به .

---

[1]- بويع للحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالخلافة – كما يقول الطبري – في سنه ٤٠هـ ،وفي نفس السنة بويع لمعاوية بن أبي سفيان بالخلافة بإيليا ،وبعد ذلك بعام واحد سلّم الحسن الأمر كله لمعاوية بن أبي سفيان ،وذلك بعد خطبة موجزة خطبها في أهل العراق ،عاب عليهم أموراً ثلاثة توحد نفسه عليهم .انظر:الطبري : تاريخ الطبري.دار المعارف ١٩٦٣م ج٥ ص١٥٨ :١٦٣،المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق.محمد محيي الدين عبد الحميد .المكتبة التجارية .القاهرة ١٩٤٨م ج٤ ص٣٨ .

[2]- الملطي :التنبيه والرد . ص٤١

[3]- عثمان بن عفان رضي الله عنه .هو الخليفة الراشد الثالث ،زوج بنتين من بنات الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد المبشرين بالجنة مع أبي بكر وعمر وعلي والزبير وطلحة وابن عوف وابن أبي وقاص وابن زيد وأبي عبيدة الجراح ... وإن كان البعض يبدأ هؤلاء العشرة الكرام بالنبي صلى الله عليه وسلم ،ولا يذكر – من ثم – أبا عبيدة .هاج عليه بعض المسلمين وحيروه بين ثلاثة أمور :إما المعاقبة على أخطائه ،ثم يستمر خليفة للمسلمين .وإما أن يعتزل الحكم راضياً طائعاً .وإما أن يستشار في أمره الرعية ،فإما عزلوه وإما أقروه .ولما رفض عثمان رضي الله عنه هذه الخيارات الثلاثة قتله الثائرون .ويروي الطبري أن عثمان رضي الله عنه لما قُتل مكث ليلتين بدون دفن ،ورفض بعض الأنصار الصلاة عليه ،ورفضوا دفنه بالبقيع ،فلما ذكّرهم البعض أن عثمان قد صلى الله عليه وملائكته ،أصروا على رفضهم ،فدفن في مكان يقال له "حش كوكب" حتى إذا ما آلت الخلافة إلى الأمويين أدخلوا هذا المكان في البقيع الطاهر .وبلغ من شدة المأساة أن عمير بن ضابيء دخل على عثمان رضي الله عنه،وهو ميت ،فاعتدّ عليه وكسر ضلعاً من أضلاعه .انظر :محمد بن جرير الطبري :تاريخ الطبري .دار الكتب العلمية .بيروت ١٤٠٧هـ ج٣ ص٦٨٨ ،د.طه حسين :الفتنة الكبرى .ج١ ،ج٢ مواضع متعددة.

هذه رواية – مع ما فيها من اتساق – إلا أن القول بأنهم سموا أنفسهم باسم المعتزلة ، أمر يحتاج إلى مراجعة ، ذلك لأنه " ليس من المألوف أن تطلق فرقة كلامية اسماً على نفسها ، وحتى الفرق التي تُسمى باسم أحد رؤسائها ، تكتسب هذه التسمية بعده من الآخرين ، مثل الجاحظ الذي لم يدع إلى تكوين فرقة كلامية تحمل اسمه ، لكن الذي حدث – بداهة – أن من تابعوا الجاحظ في آرائه الكلامية ، عُرفوا بين الناس بالجاحظية ، كما لا يفوتنا أن لفظ الاعتزال ، بالذات ، ليس بالمدح لتصطفيه فرقةٌ وتطلقه على نفسها "[1] .

ويتضح لنا مما سبق عرضه من الآراء الكثيرة التي حاولت تقديم تفسير " جامع مانع " لنشأة الاعتزال ، أن هناك اختلافاً قد كان قائماً بين المتقدمين من الباحثين والمؤرخين ، مما يجعل الاختلاف بين الباحثين والمؤرخين المحدثين أمراً وارداً ، بل أمراً ضرورياً[2] .

لكن الأقرب للصواب أن نفسح المجال لكل رأي حاول تقديم تفسير لنشأة الاعتزال ، وذلك بحسب الزاوية التي ينظر منها المؤرخ إلى المعتزلة .

وقد رأينا – مما سبق – كيف فسر أهل السنة نشأة الاعتزال ، وذلك انطلاقاً من نظرتهم إلى الاعتزال واعتباره خروجاً عن " رأي الأمة " .

وعلى نفس المستوى ، يمكن النظر إلى محاولات الشيعة تقديم تفسير آخر يمثل وجهة نظرهم في الاعتزال ، فالشيعة في بداياتها السياسية كانت تتبنى مبدأ " من ليس معي ، فهو علي " !! ولذلك نجد تفسيرهم لنشأة الاعتزال مقيداً بهذا المبدأ ، حيث وجدوا في المعتزلة نكوصاً معيباً عن نصرة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبذلك صارت تفسيراتهم لنشأة الاعتزال متسقة ونظرتهم إلى المعتزلة ، سواء اتفقنا معهم أم اختلفنا .

---

[1]- البلخي :فضل الاعتزال .ص١٥ ،رهدي جار الله :المعتزلة .ص٤

[2]- حسين مروة :النزعات المادية .ج١ ص٦٣١ وما بعدها

بل إن الأمر بين الشيعة أنفسهم يدعو إلى تأكيد ما نذهب إليه ، فنحن نجد أن الشيعة المتأخرين قد أوجدوا صلات قربى في الرأي بين المعتزلة وبينهم – وقد صار الشيعيون المتأخرون معتزليين ، أو صار المعتزليون شيعة[1] – فنجد من يفسر نشأة المعتزلة بمنطق آخر ، ويرفض تسمية المعتزلة بهذا الاسم تحت دعوى أن المعتزلة قد اعتزلوا علياً : فلا هم حاربوا معه ، ولا هم حاربوا ضده ، لأنهم – كما قال البلخي – يفضلون علياً ويتولونه .

???????

ثالثاً : فرق المعتزلة :

انقسمت المعتزلة إلى فرق كثيرة ، وقد نسبت كل فرقة إلى رئيس لها ، وقد كانت بين كل فرقة وأخرى خلافات ظاهرة .ويمكن اعتبار تلك الخلافات أموراً طبيعية ، بل وضرورية في مدرسة كان من أشهر ما يُعرف عنها القول بسلطان العقل ورفض التقليد .

وهذا الخلاف لا يجب الصعود به إلى درجة نقض التوحيد والعدل ، وبذلك لا يكون هناك خوف على الأصول الاعتزالية من ذلك الاختلاف ، لأنه لم يتعد – في الغالب الأعم – الفروع إلى الأصول ، لكن المتربصين سوءاً بالمعتزلة قد بالغوا في تصوير هذه الخلافات مبالغةً شديدة ، حتى اشتهر الخلاف العميق بين مدارس المعتزلة ، والشهرة لا تكون – أبداً – دليلاً على الحقيقة[2] .

الواصلية :

هم أصحاب واصل بن عطاء الغزّال الألثغ[3] ، أبي حُذيفة ، ويذكره المقريزي بأنه قد كان مولى لبني ضبة ، وربما لبني مخزوم .وتجمع المصادر على أن نشأة

---

[1]- د.أحمد محمود صبحي :الزيدية .الزهراء للإعلام العربي .القاهرة ١٩٨٤م ط٢ ص٢٢١ :٢٢٦.

[2]- د.ألبير نصري نادر :فلسفة المعتزلة .دار نشر الثقافة .الإسكندرية ١٩٥١م ط١ ج١ ص٢٠٢ .

[3]- لم يكن غزّالاً ،بل كان كثير الجلوس بسوق الغزل ،ليعرف النساء المتعففات ،فيصرف لهن صدقته ،وكان يلثغ بالراء ،ومع ذلك فقد كان فصيحاً لسناً مقتدراً ،قاسط حرف الراء من كل كلامه ،وقد سأل بعض السلف أبا هاشم عبد الله بن محمد بن=

واصل قد كانت بالمدينة المنورة ، ثم انتقل منها إلى البصرة بعد أن تلقّى العلم على يد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية .ومعروف أن واصلاً هو أول من أذاع مقولة المنزلة بين المنزلتين ، ثم خالف الحسن البصري في ثلاث مسائل أخرى هي : نفي الصفات ، والقول بحرية الإرادة للمكلف ، والإقرار بخلود مرتكب الكبيرة في النار ، مع قوله إنه موحّد وليس مشركاً .

وقد اعتبر البعض هذا القول الأخير موافقة من واصل للخوارج ، فسموهم " مخانيث الخوارج " ، وقد يطلق البعض عليهم " الحسنية " نسبةً إلى الحسن البصري .ويذكر نشولن أن من مواطن الاعتزال بعض المدن في المغرب ، حيث انتقل الاعتزال إليها في ظل الدولة الرستمية ، ومن هذه المدن – كما يقول ياقوت – البيضاء ، وفيها آلاف من المسلمين يسمون الواصلية[1] .

العمروية :

هم أصحاب عمرو بن عبيد ، مولى بني تميم[2] ، ويذكر البغدادي أن عمراً قد وافق واصلاً بن عطاء في كثير من آرائه ، خاصة في رد شهادة علي بن أبي طالب

=الحنفية :كيف كان علم محمد بن علي ؟ فقال للسائل :إذا أردتم أن تعلموا ذلك ، فانظروا إلى أثره في واصل .وقد قال رجل من أصحاب الحسن البصري :ما كنا نعد علياً أيام واصل ملكاً .وقد فرق واصل رسله في الآفاق يدعون إلى دين الله .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٣ :٣٧

[1]- المقريزي :الخطط المقريزية .مكتبة المليجي .القاهرة ١٣٢٦هـ ج٤ ص١٦٤ ،عبد القاهر البغدادي :الفرق بين الفرق .ص٩٧ ،الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٤٠ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٦ ،بشوان الحميري :الحور العين .تحقيق .كمال مصطفى .مكتبة الخانجي .القاهرة ١٩٤٨م ص٢١١ ،ياقوت الحموي :معجم البلدان .طهران ١٩٦٥م ج١ ص٨١٣

[2]- عمرو بن عبيد من أهل البصرة وأصله من كابل ،وهو من رواة الحديث ،كان معروفاً عنه شدة الزهد والتقى والورع ،وكان الحسن البصري إذا رآه يقول :هو خير فتيان البصرة ،وقد أوردت مصادر كثيرة أن عمراً قد حج أربعين سنة ماشياً وبعيره معه يركبه الفقير والضعيف ، وقد كان عمرو يحيي الليل كله في ركعة واحدة ، فعل ذلك أكثر من مرة ،وقد مدحه البعض فقال فيه :ليس هناك من يحفظ قول الحسن البصري غير عمرو بن عبيد ،وقال بعضهم :رأيت عمراً بمكة فرأيته كأنه حديث عهد بمصيبة ،ثم رأيته بمنى فرأيته كأنه أحضر للقود ، ثم رأيته بعرفة فرأيت رجلاً كأن النار لم تُخلق إلا له .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٨، ٣٩ ، المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٥

كرم الله وجهه وطلحة والزبير .إلا أن عمراً قد زاد على ذلك بتفسيق الفريقين المتحاربين في صفين[1] .

الهذيلية :

أتباع أبي الهذيل العلاّف ، من موالي عبد القيس ، ويذكر المقريزي في خططه أن أبا الهذيل العلاف قد أخذ العلم عن عثمان بن خالد الطويل وواصل بن عطاء ، وقد زاد على معرفته بمذاهب المعتزلة معرفته بمذاهب الفلسفة .ويذكر صاحب الملل والنحل أن من أصحابه أبا يعقوب الشحام والأنمي[2] .

النظامية :

هم أصحاب أبي إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام ، يذكر البغدادي في " الفرق بين الفرق " أنه " ثاني قائد فكري بعد العلاف " وهو من تلاميذ أبي الهذيل العلاف ، وقد كان له اطلاع واسع على المذاهب الفلسفية ، وكان له أصحاب من الرافضة والخوارج والمرجئة ، ومن أصحابه الفضل الحدثي وأحمد بن خابط[3] .

الأسوارية :

أتباع علي بن عمرو بن قائد الأسواري ، وذلك فيما يذكره كل من البغدادي في " الفرق بين الفرق " والمقريزي في " الخطط " ، ويذهب البعض إلى القول بأنهم أصحاب علي بن خالد الأسواري ، ويذكر عنه أنه كان من أتباع العلاف ، ثم انتقل إلى متابعة النظام ، وكان من أعظم المعتزلة في علم الكلام ، وهو شخص آخر غير

---

[1]- الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد .ج١٢ ص١٨٨ ،المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٥ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٠٠ ،١٠١ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٩ ،فخر الدين الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .تحقيق .د.علي سامي النشار .مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٨م ص٤٠

[2]- الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤١ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٠١ ، الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٩ :٥٣ ،البغدادي :تاريخ بغداد .ج١٣ ص٣٦٩ ،ابن الجوزي :تلبيس إبليس . مكتبة أنس بن مالك .القاهرة ١٤٠٠هـ ص٨٢

[3]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٥٣ :٥٩ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٠٣ :١٠٩ ،الإسفرايني : التبصير في الدين .ص٤٣ ،الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص١٤١

أبي علي بن قائد الأسواري – الذي نسب الفرقة إليه كل من المقريزي والبغدادي – حيث هذا الأخير صاحب وعظ وتفسير[1] .

الإسكافية :

أصحاب أبي محمد بن عبد الله الإسكافي ، تلقى العلم على يد أحد الجعفرين : جعفر بن حرب .وقد كان الإسكافي على قدر كبير من الدراية بأصول المعتزلة ، وقد نُسبت إليه تنظيرات على جانب كبير من الأهمية ، كما كان حجة على مناظريه ، فكثيراً ما كان يُناظر أصحاب الشافعي رحمه الله ، وكان يفوقهم[2] .

الجعفرية :

هم أصحاب الجعفرين : جعفر بن حرب الهمذاني ،وجعفر بن مبشّر الثقفي ، وقد أصبحا مضرب الأمثال في العلم والزهد ، حتى يقال مدحاً للرجل العالم الزاهد : في علم الجعفرين وزهدهما .

وقد تلقى كلاهما العلم على يد الإسكافي ، وقد قال جعفر بن مبشر بخطأ الإجماع على ضرب شارب الخمر ، في الوقت الذي أجمع فيه كثير من الفقهاء على تكفير من أنكر حد الخمر النيء[3] ، هذا وقد اختلف معه الكثيرون حول جواز المغفرة لمرتكب الصغيرة إذا اجتنب الكبائر[4] .

البشرية :

هم أتباع بشر بن المعتمر الهلالي ، اختلف فيه أهل السنة والمعتزلة ، وإلى ذلك يذهب البغدادي في " الفرق بين الفرق " ، فقد أعلن بعض المعتزلة تخطئته ، بل وتكفيره ، في مسائل كان أهل السنة يرونه مصيباً فيها .

---

[1]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٠٩ ،الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٤ ،٤٥ ،محمود أحمد عبد المنعم :تفسير المعتزلة للقرآن .مخطوط ماجستير .كلية الآداب .جامعة عين شمس ١٩٧٣م ص٣٥

[2]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص٣١٥ ،الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٨ ،المقريزي :الخطط المقريزية. ج٤ ص١٦٥

[3]- الحمر النيء هو عصير العنب ،إذا لم يُطبخ على النار ،بل تُرك يختمر لنفسه .

[4]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٤ ،الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٧ ،الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد .ج٧ ص١٢ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٩

وبشر هذا هو أول من أحدث القول بالتولد ،وهومؤسس فرع الاعتزال في بغداد، وأما أساتذته فمنهم بشر بن سعيد وأبو عثمان الزعفراني ، وأما تلاميذه فمنهم أبو موسى المزدار[1] .

المزدارية[2] :

هم أصحاب أبي موسى بن صبيح ، المعروف بالمردار ، تلميذ بشر بن المعتمر، وقد كان واحداً من كبار رجالات الزهد ، حتى قيل فيه : راهب المعتزلة .وقد وافق المردار أبا الهذيل العلاف في رأيه في مسألة إعجاز القرآن[3] .

الهشامية :

أتباع هشام بن عمرو الشيباني الفوطي[4] ، وهو من المعتزلة ، وكان ذا فضل وعلم كبيرين ، حتى أن المأمون كان إذا رآه قام له اعتباراً لفضله وعلمه .

يقولون في الفوطي :

أحمد الواحد الذي حبانـــــــــا بهشام في علمه وكفانـــــــــا
قد أقام المنار بالسنن النهـــــــج منيراً وأحكم البيانـــــــــا
ليس يخفى عليك أن هشامـــــــاً يتـحرّى بقوله الرحـــــمانا
تابع واصلاً وعمـــراً فمـــــــــا يفتر في دينه ولا يتوانـــــــــا

وقد ذهب الفوطي إلى إنكار الإمامة وقت الفتن ، حيث إنها " لا تنعقد في أيام الفتنة واختلاف الناس ، وأنما يجوز عقدها في حالة الاتفاق والسلامة .وكذلك قال

---

[1]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٠ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٤، ٦٥ ،الفخر الرازي : اعتقادات فرق السلمين والمشركين .ص٤٢ ،الملطي :التنبيه والرد .ص٣٨ ،الإسفراييني :التبصير في الدين . ص٤٥

[2]- يذكرها المقريزي في خططه بالزاي ،ويذكرها البغدادي في فرقه بالراء .انظر :المقريزي :الخطط المقريزية. ج٤ ص١٦٦ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٢

[3]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٨ :٧٠ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٢ :١١٤ ،الإسفراييني : التبصير في الدين .ص٤٧ ،الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٣

[4]- يذكره البغدادي بسكون الواو ،ويذكره السمعاني والشهرستاني بضم الفاء وفتح الواو .انظر : الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٣ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١١

الأصم بأن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيها .وإنما أراد بذلك الطعن في إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إذ كانت البيعة في أيام الفتنة ، من غير اتفاق من جميع الصحابة ، إذ بقي في كل طرف طائفة على خلافه "[1] .

الحائطية :

يذكرهم البغدادي في " الفرق بين الفرق " بقوله " فرقتان من جملة فرق الغلاة في الكفر ، وهم أتباع أحمد بن حائط[2] ، أحد أصحاب إبراهيم بن سيار النظام[3] ، ولأحمد هذا آراء وتنظيرات خطّاه فيها البعض وكفّره البعض .

المعمريـــة :

اتباع معمر بن عباد السلمي ، وقد ذكر المقريزي أنه أكبر الغالين في رفع الصفات ، ورفض القدر خيره وشره من الله تعالى ، وقد زعم أن الله تعالى لم يخلق شيئاً سوى الأجسام ، وأما الأعراض فإنها من اختراعات الأجسام ، مما دفع الأشعري إلى القول عنه بأنه قال بتعجيز الله تعالى[4] .

الثماميـــة :

أتباع ثمامة بن أشرس ،مولى بني نمير .عاصر المأمون والمعتصم والواثق ،وقد ذهب البغدادي إلى أن ثمامة هذا هو الذي أغرى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال، كما

---

[1]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١١ ،١١٣ .المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٦ .الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٧٢ :٧٤ .الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٦

[2]- يذكرهم الشهرستاني بأنهم أتباع "أحمد بن خابط" انظر :الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٠

[3]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص٩٥ .الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٠ :٦٣ .المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٧

[4]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٦ .الأشعري :مقالات الإسلاميين .ج٢ ص٥٤٠ .البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٠٩ .الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٢ .المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٧ . الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٦

ذهب – البغدادي – إلى أن لثمامة آراء تتعلق بحال أهل الكتاب الذميين من الحساب يوم القيامة ، وكذلك حال الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ولم يجر عليهم القلم[1] .

الجاحظيـــة :

هم أتباع عمرو بن بحر أبي عثمان ، المكني بالجاحظ ، ويذكر الشهرستاني أنه كان من فضلاء المعتزلة ، وكان له كثير اطلاع على الثقافات المختلفة مع براعة في التعبير ، مما جعله ينشر مذهب المعتزلة ومذاهب الفلاسفة بعباراته البليغة .وقد عاصر الجاحظ المعتصم والمتوكل ، وكان الجاحظ تلميذاً للنظام ، وقد شايعه في قوله إن القرآن جسم وإن الأصوات جسم وهي قابلة للتحيز .وله شروح كثيرة في المعارف الطبيعية ، مما حدا بالبعض إلى ضمه لمشايعي ثمامة بن أشرس في هذه المسألة [2] .

الخياطيـــة :

هم أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط ، صاحب كتاب " الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد "[3] دافع فيه عن المعتزلة وبرأهم مما رماهم به ابن

---

[1]- البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٥ ،المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٧، ١٦٨ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٠ ،وتشير مصادر غير قليلة إلى أن ثمامة قد كان واحداً من الشخصيات الهامة في الحياة العقلية في الإسلام ،وقد طاله أذى كبير في عهد الرشيد ،إلا أنه استطاع أن يجعل لنفسه مكاناً مرموقاً أيام المأمون ،فكانت له اليد العليا في توجيه سياسة الدولة ،كما كانت له اتصالات بكل من أبي الهذيل العلاف وجعفر بن يحيى البرمكي والفضل بن سهل ، لكن خصومه يرون أنه كان – مع كثرة أتباعه – كثير الأعداء ،خاصة من أهل الحديث ، مما دفعهم إلى التشنيع به... فقيل فيه "هو من رقة الدين ونقص الإسلام والاستهزاء به وإرساله لسانه ، على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله تعالى ويؤمن به ، وقد رأى قوماً يتعادون يوم الجمعة إلى المسجد لحوقهم فوت الصلاة ،فقال :انظروا إلى البقر ،انظروا إلى الحمير !!! ثم قال لرجل من إخوانه :ما صنع هذا العربي بالناس " !!؟ انظر :عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري :تأويل مختلف الحديث . تحقيق .محمد زهدي النجار .دار الجيل .بيروت ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م ص٤٩ ويذكر أن ابن قتيبة والبغدادي من المتحاملين على المعتزلة .

[2]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٥ ،المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٨ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٧، ١١٨ ،الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٣ ،الإسفرايني :التبصير في الدين . ص٤٨

[3]- لابن الراوندي هذا كتب تطعن في الإسلام ،رد عليها الخياط وغيره من رجال المعتزلة ،لكن أشهر هذه الردود نجدها في كتاب الخياط "الانتصار" .ومما كتبه ابن الراوندي :التاج .. ويحاول فيه إثبات قدم العالم ،الدامغ .. ويطعن فيه على إعجاز القرآن=

الراوندي .والخياط هوشيخ أبي القاسم الكعبي ، وكلاهما من معتزلة بغداد ، وقد جعل الخياط " المعدوم شيئاً " وغالى في ذلك حتى ذهب إلى القول بأن الشيء هو ما يُعلم ويُخبر عنه .وإذا قلنا إن الكعبي قد كان تلميذاً للخياط ، فإن الكعبي قد انفرد عن أستاذه بعدة مسائل منها اعتباره بأحاديث الآحاد ، في حين أن الخياط لم يعتبر بها طالما تعارضت مع أدلة العقول .ومن قول الخياط بالمعدوم شيئاً ، أطلق البعض على المعتزلة " المعدومية "[1] .

الجُبّائية :

أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهّاب الجبائي ، وهومن معتزلة البصرة ، بل هوشيخهم وأبو شيخهم عبد السلام الجبائي ، المكني بأبي هاشم .وقد كان فقيهاً زاهداً ورعاً ، وكان من أساتذته الشحام ، وكان من تلاميذه إمام الأشاعرة أبو الحسن الأشعري ، حيث كان الجبائي زوجاً لأمه فربّاه وعلمه الاعتزال ، ثم تركه الأشعري وأسس مذهب الأشاعرة معارضاً به المذهب الاعتزالي[2] .

البهشمية :

=الكريم ونظمه ،الرمرد ..يحاول فيه إبطال الرسالة ،نعت الحكمة :.تعدى فيه بشكل سافر وفسح ،فنسب إلى الله – تعالى – ما لا يليق به سبحانه ،الغضيب ..يحاول فيه بيان عدم علم الله تعالى ،فدّعي أنه - جل وعلا – ذو علم حادث ،فهو – سبحانه وتعالى – لم يكن عالماً ثم علم ،المرجان .. يتكلم فيه بتوسع عن اختلافات فرق المسلمين .انظر :القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٣٣ ، القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٦ "إعجاز القرآن " تحقيق .أمين الخولي .مصر .مواضع مختلفة ،على فهمي خشيم :الجبائيان .مكتبة الفكر .ليبيا ١٩٦٨م ط١ ص٣١٥ وما بعدها .

[1] - الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٦ ،المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٨ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٨ ، ١١٩ ،الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٤ ،الإسفرايني :التبصير في الدين . ص٥١

[2] - الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٨ :٨٥ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٣١ ،المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٨ ،الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٣ ،الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد . ج١١ ص٥٥ ،الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٥١

أتباع أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ، وهوابن الجبائي الكبير ، أخذت عنه البصرة مذهب الاعتزال[1] .

هذا ... وهناك فرق ينسبها البعض إلى المعتزلة ، لكن كتب الفرق لا تذكر بعضها وتضرب صفحاً عن البعض الآخر .

إلا أن ما نُكر من الفرق الاعتزالية يمثل أهم وأخطر الفرق المعتزلية ، والتي تركت أثراً واضحاً على الساحة الفكرية في عصرها وفي العصور التالية .

???????

رابعاً : مفهوم العقل عند المعتزلة :

لا شك في أن العقل يمثل شيئاً ثميناً عند المعتزلة ، والناظر في آيات القرآن الكريم يجد لها ميزة لا يقع بسببها خلاف بين مسلم ومسلم ، وقلما يقع بسببها خلاف بين مسلم وغير مسلم : تلك هي اعتماد القرآن الكريم – أولاً وقبل أي شيء آخر – على العقل وتنويهه به وتعويله عليه ، خاصة في أمور العقيدة والمسئولية والتكليف .

والقرآن الكريم ليس يذكر العقل على سبيل الإشارة العارضة ، بل هو يذكره في مقام التفخيم والتنبيه إلى فرضية العمل به والرجوع إليه والرضا بأحكامه[2] .

ولقد كان القرآن الكريم منبهاً على رفعة شأن العقل ، ومن ثم فقد أطلق القرآن الكريم للفكر ما شاءت قدرته عظمةً واستدلالاً ، ولذلك جاء القول " ما قولك في دين يقول أئمته بترجيح العقل على ظاهر الشرع عند التعارض "[3] ؟

---

[1]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٨ :٨٥ ،البغدادى :الفرق بين الفرق .ص١٣١ ،المقريزى :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٨

[2]- عباس محمود العقاد :التفكير فريضة إسلامية .دار نهضة مصر .القاهرة .ص٣

[3]- محمد كرد على :الإسلام والحضاره العربيه .دار الكتب ١٩٣٤م ج٢ ص٤٠ ،وإذا كانت دعوة الإسلام – في جوهرها – تدعو إلى تحكيم العقل في مجالات الفكر ،والعدل في مجالات السلوك البشري والمعاملات ،فإن المسلمين متفقون على أنه لا تعارض بين الوحي والعقل ،حيث إن هناك قناعة بأن العقل ثبت النقل . والإشكالية التي حدثت بعد ذلك هي :هل للعقل فعالية بعد أن أثبت صحة النقل ؟ وفي هذا المجال نجد المعتزلة تُعطي العقل حق الفعالية في فهم النصوص وتأويلها ،فلقد قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بأن النصوص لبست تفصح بذاتها عن معناها ،ولكن ينطق بها الرجال .بينما نجد فرقاً كلامية أخرى أقدمت على إلغاء العقل لحساب فهمها للنص .ولنظر مثالاً على قيمة العقل في الإسلام وفهم المقاصد البعيدة للشريعة ،ما فعله

وفي ذلك يقول الدكتور أبو ريدة : ظهرت من المعتزلة منذ أول أمرهم نزعة إلى الاعتماد على العقل وإلى إقامة سلطان له إلى جانب النصوص المنزّلة ، فحكّموه في آرائهم ، وبالإجمال في معرفة الله وصفاته وأفعاله ، وفي الحسن والقبح في الأفعال وغير ذلك ، وظهر منهم الاستقلال في الرأي في كثير من المسائل ، ولذلك يسميهم الباحثون الأوربيون : أصحاب المذهب العقلي ، أو المفكرين الأحرار[1] .

موقف المعتزلة من القرآن الكريم :

لقد كان أمراً متوقعاً من المعتزلة ، بعد أن طالعوا كتب الفلسفة ، أن يقيموا مقام العقل إلى جانب مقام النصوص المنزّلة ، ومن ثم راحوا يسعون إلى تقييم الوجود

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،حين أدرك المقصد البعيد للتشريع الإلهي في "سهم= =المؤلفة قلوبهم "حيث هم بعض من تصح لهم الصدقات ،لقوله تعالى في الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ،فريضة من الله ،والله عليم حكيم" وفي ذلك جاء القول "سهم المؤلفة قلوبهم :هو سهم قد نص عليه القرآن الكريم في آية توزيع الزكاة ،وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطيهم – وهم كفار ،أو ليسوا على إسلام صادق بل متأرجحين – ليتألف بالعطاء قلوبهم ،وطالما استعبد الإنسان إحسان ،فيكفوا عن المسلمين شرهم ،وليكسب ودهم أو لسانهم ،وربما حبهم وإسلامهم .يروي سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إلي ،فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الخلق إلي .وسار أبو بكر رضي الله عنه في خلافته على ما سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ،حتى جاءه عيينة بن حصن ،والأقرع بن حابس ،فسألا أبا بكر :يا خليفة رسول الله ،إن عندنا أرضاً سبخةً ليس فيها كلأ ولا منفعة ،فإن رأيت تعطيناها ؟ فأقطعهما أبو بكر إياها ،على أنهما من المؤلفة قلوبهم ،وكتب لهما كتاباً بذلك ، وأشهد عليه ،ولم يكن عمر حاضراً ،فذهب إلى عمر ليشهد ،فعارض عمر ذلك بشدة ،ومحا الكتابة .. فتذمرا وقالا مقالة سوء ،فقال لهما :إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ،وإن الله قد أغنى الإسلام ،فاذهبا فاجهدا جهدكما ،لا يرعى الله عليكما إن رعيتما " انظر :د.عبد المنعم النمر : الاجتهاد. دار الشروق .القاهرة .ص٩٣ وما بعدها .ثم يقول صاحب "الاجتهاد " :الشاهد هنا أن عمر أوقف حكماً كان مستقراً في أيام الرسول ،وجزء من خلافة أبي بكر ،بناءً على اجتهاد له في سبب إعطاء هؤلاء ،حيث اعتبر أن السبب الآن غير قائم ،فلا داعي للإعطاء ،والحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً كما عرفنا ،فعمر رضي الله عنه لم يقف جامداً عند حدود النص وظاهره ،ولا حدود الفعل ،بل عاص إلى سببه وعلته ،وحكم - اجتهاداً منه – في فهم الحكم على ضوء ظروف الاسلام ،حين صار قوياً في غير حاجة إلى تأليف قلوب هؤلاء .انظر : د.عبد المنعم النمر :الاجتهاد .ص٩٣ ، وانظر في التفسير : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي : تفسير القرطبي . تحقيق . أحمد عبد العليم البردوني . دار الشعب . مصر ١٣٧٢هـ ط٢ ج٨ ص١٧٨ : ١٨١

[1] .. محمد. عبد الهادي أبو ريدة :إبراهيم بن سيار النظام .ص٦٧

على أساس الحكم العقلي ، وذلك كله مسعى منهم حميد لوقف الاتجاهات الهدامة التي كانت تحاول النيل من الإسلام ، بل وهدمه ،متمثلة تلك الاتجاهات – أكثر ما تكون – في الفكر البراهمي الذي أراد إظهار عدم جدوى الشريعة والشارع معاً ، من خلال تداعيات عقلية ضعيفة واهية[1] ، مما جعل واصلاً بن عطاء يعتبر العقل مصدراً لمعرفة الحق ، إلى جانب الكتاب والسنة والإجماع ، فيما عُرف بـ " الأدلة " ، وكذلك ما حدا بعمرو بن عبيد أن يقول : إن الدين هو تقرير حجة الله في عقول المكلفين[2] .

يقول الصاحب بن عباد[3] : الأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والصدق في الوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تلزمنا التدبر والتمييز لنعرف الصحيح من السقيم .قال تعالى : أفلا يتدبرون القرآن . وقال تعالى : فاعتبروا يا أولي الأبصار[4] .

ويقول الجاحظ : لولا أن الله تعالى أراد تشريف العالم بتربيته وتسويد العقل ورفع قدره ، وأن يجعله حكيماً وبالعواقب عليماً ، لما سخّر له كل شيء ولم يسخره لشيء ، ولما طبعه الطبع الذي يجيء منه أريب حكيم وعالم حليم[5] .

---

[1]- أبو بكر الباقلاني :التمهيد في الرد على الملحدة والرافضة والخوارج والمعتزلة .تحقيق .محمود الخضيري، د.محمد عبد الهادي أبو ريدة .لجنة التأليف والترجمة والنشر .مصر ١٩٤٧م ص١١٩ وما بعدها .

[2]- ابن عبد ربه :العقد الفريد .تحقيق .محمد سعيد العريان .مطبعة الاستقامة .مصر ١٩٤٠م ج٢ ص٣٦٨

[3]- الصاحب بن عباد هو أول من لُقّب بـ "الصاحب " لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ صباه ،وسماه الصاحب ،فاستمر هذا اللقب ملازماً له واشتهر به ،وقيل إنه لم يسعد أحد في وفاته كما في حياته غير الصاحب بن عباد ،فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الري ،وقعد فخر الدولة للعزاء فيه إياماً ،ومشى أمام جنازته مع الناس الذين قبّلوا الأرض عند خروج النعش .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٩٤ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٣٩

[4]- الصاحب بن عباد :التذكرة في الأصول الخمسة .تحقيق .محمد حسن آل ياسين .العراق ١٩٥٤م ص٨٧

[5]- الجاحظ :رسائل الجاحظ .تحقيق .عبد السلام هارون .مكتبة الخانجي .القاهرة ١٩٦٤م ص١٢٥

ويقول : إن للأمور حكمين : حكماً ظاهراً للحواس ، وحكماً باطناً للعقول ، والعقل هو الحجة ، فلا تذهب إلى ما تريك العين واذهب إلى ما يريك العقل[1] .

وهكذا خرّج المعتزلة بنيانهم العقلي في معرفة أصول الدين وحقائق التفسير .وإلىذلك يشير القاضي عبد الجبار ... فيقول : اعلم أن النظر لا يُراد لنفسه ، وإنما يُراد لما يوصل إليه من المعرفة[2] .

ومع ذلك كله ، فإن المعتزلة لم يُطلقوا للعقل سلطانه ... هكذا ، ولم يجعلوه فيصلاً مطلقاً ، إنما أضافوا إليه حججاً أخرى ثلاث هي : الكتاب والسنة والإجماع ، فيما عُرف عندهم بـــ " الدليل " وذلك كله عبارة عن مجموعة من العلوم الضرورية المركوزة في عقول الناس من الحجج والبراهين[3] .

يقول الجاحظ : إن الحجة حجتان :عيان ظاهر ، وخبر قاهر .والعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ، والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل ، ولا بد لكل واحد منهما من صاحب ، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاب الآخر .والعقل نوع واحد ، والدليل نوعان : شاهد عيان يدل على غائب ، والآخر مجيء خبر يدل على صدقه[4] .

وليس من شك في أن المعتزلة هم أول المتكلمين – على الإطلاق – في حفظ العقل في التاريخ الإسلامي[5] وفي القول بالدليل السمعي بعد اعتمادهم على الدليل

---

[1]- الجاحظ :الحيوان .تحقيق .عبد السلام هارون .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٣٨م ج١ ص٣٠٧،وعن بعض المواقف المعاصرة من العقل ودوره وحدوده ومجال فعاليته – إسلامياً .انظر :سيد قطب :نحو مجتمع إسلامي . بدون تاريخ .بدون مكان نشر .ص١١ وما بعدها .

[2]- القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٢٣

[3]- ابن أبي الحديد :شرح نهج البلاغة .تحقيق .أبو الفضل إبراهيم .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٥٩م ج١٠ ص١١٧ ،صالح المقبلي :العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ .مكتبة الخانجي .القاهرة ١٣١٨هـ ط١ ص١٦٦ ،١٦٧

[4]- الجاحظ :حجج النبوة .ضمن الرسائل .جمع .السندوبي .المكتبة التجارية .مصر ١٩٣٣م ط١ ص١١٨

[5]القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١١ "التكليف " تحقيق .د.محمد علي النجار .ص٨٥، ٨٧، ١٠٠، ١٠١، ٣٦٧: ٣٧١ ،جولد تسيهر :العقيدة والشريعة في الإسلام .ترجمة .د.محمد يوسف موسى ،د.علي حسن عبد القادر ،عبد العزيز عبد الحق .دار الكتب الحديثة .القاهرة ١٩٥٩م ط٢ ص١٠٢

العقلي ، مما دفع بالقاضي عبد الجبار إلى أن يقدم الدليل على المذهب وليس العكس صحيحاً ... فيقول : فإنا لم نجعل اللقب دلالة على أن مذهبنا حق ، بل صحة المذهب تتبع صحة الدليل[1] ،ويقول : إن كل دلالة تُنصب لإفساد مذهب من المذاهب، فالاعتراض على تلك الدلالة بنفي ذلك المذهب لا يصح[2] .

والأدلة عند المعتزلة نوعان : أدلة عقلية ... بمثابة شاهد عيان يدل على غائب ، وأدلة سمعية شرعية ... بمثابة الخبر الدال على صدق[3] .

كما أن الأدلة من حيث العدد أربعة : دلالة العقل ، ودلالة الكتاب ، ودلالة السنة، ودلالة الإجماع ... وفي تفصيل ذلك وبيان علة تقديم العقل يقول القاضي عبد الجبار: وإذا قد عرفت ذلك فاعلم أن الدلالة أربع : حجة العقل ، وحجة الكتاب ، وحجة السنة ، وحجة الإجماع .ومعرفة الله تعالى لا تُنال إلا بحجة العقول[4] .

ولبيان علة تقديم العقل والتعويل عليه ، يقول الصاحب بن عباد : فلو أسقطنا شهادة العقول لما وجدنا سبيلاً إلى المعرفة بالواحد الأحد[5] .

ورغم كل ما تقدم ، فإن المعتزلة لم يقدموا العقل على الشرع تقديم تشريف – كما هو شائع عنهم – ذلك لأن المعتزلة لا يجعلون العقل فوق الشرع ، بل هم يعتبرون القرآن الكريم هو الأصل ، ذلك لأن فيه " التنبيه على ما في العقول ، بل إن فيه الأدلة على الأحكام "[6] .

---

[1]- القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص١٦٧

[2]- القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٣٥٣ ،أبو رشيد النيسابوري :المسائل في الخلاف .ص٥٠

[3]- القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٥ "التنبؤات والمعجزات " تحقيق .محمود الخضيري ،د.محمود قاسم .القاهرة ١٩٦٥م ص١٥٢

[4]- القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٨٨ ،القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص١٣٩ ،د.محمد عمارة :رسائل العدل والتوحيد .ج١ ص٣٠

[5]- الصاحب بن عباد :رسالة في الهداية والضلالة .تحقيق .حسين علي محفوظ .طهران ١٩٥٥م ص٤١

[6]- القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص١٣٩

والاختلاف هنا اختلاف لفظي ، فإذا كانت الأحكام معلومة بالعقل نُسبت إليه ، قيل هي أحكام عقلية ، إذا كانت تُعلم بالسمع قيل هي أحكام سمعية .وطبيعة الأحكام لا تتغير وإن انقسمت الإضافة لانقسام الأدلة التي بها تُعلم[1] .

وكل ما يمكن قوله هنا هو أن تقديم العقل على باقي الأدلة عند المعتزلة إنما كان نزوعاً منهم نحو نشدان العمومية والإطلاق ، وطبيعي أن ذلك " الإطلاق " وتلك " العمومية " لا يتحققان في أمر إلا إذا كان ذلك الأمر " عقلياً " !! بمعنى " أن أي حكم يطمح إلى شمول القبول أو الوجوب ، ينبغي أن يدخل في إطار المعايير التي أقرها العقل "[2] .

موقف المعتزلة من السنة النبوية المطهرة :

وإذا كنا قد أوضحنا موقف المعتزلة من القرآن الكريم – وهو موقف ملؤه التقديس والاحترام – فيجب أن نوضح موقفهم من السنة النبوية المطهرة ، وهي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام[3] .

---

[1]- القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج١٧ "الشرعيات" .تحقيق .أمين الخولي .القاهرة ١٩٦٣م ص١٠١

[2]- حسني زينة :العقل عند المعتزلة . تصور العقل عند القاضي عبد الجبار .دار الآفاق الجديدة .بيروت ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م ط٣ص٥٤ ،وإذا كان مما استوجب نقد المتكلمين اعتماد بعضهم على أصول سوفسطائية حاحدة لكثير من الضروريات ،مثل "ثبوت الأعراض ، وتأثير الأشياء بعضها في بعض ،ووجود الأسباب الضرورية للمسببات ،والصور الجوهرية ،والوسائط ،ووجود الطبائع والقوى ،ورفع الضروريات الموجودة في طبيعة الإنسان وجعلها من باب الممكن ،وإنكار الأسباب المحسوسة الفاعلة ،وإنكار الضرورة المعقولة بين الأسباب والمسببات ".فإن هذا النقد – حرفياً – لا ينطبق على الفكر الاعتزالي ،بل هو على الفكر الأشعري منطبق ،لأن الفكر الاعتزالي "قد بلغ من الدقة والسمو مبلغاً كبيراً " .انظر :د.محمد عاطف العراقي :النزعة العقلية في فلسفة ابن رشد .ص١٦ ،١٦٤

[3]- نريد أن نفرق تفرقة إجرائية بين الشرع والفقه :فالشرع هو ما يؤخذ مباشرة من الله تعالى ،من خلال آيات القرآن الكريم ،أو من الرسول صلى الله عليه وسلم ،من خلال السنة النبوية المطهرة .أما الفقه فهو ما يضعه الفقهاء وما يصوغه الشراح ويفسره المفسرون .ومن هنا يمكن القول بأنه بينما الشرع – باعتباره منزلاً من عند الله تعالى سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة – مصون لايمكن أن يخطيء ،فإن الفقه – باعتباره عملاً من أعمال البشر – غير مصون ولا محصن ضد الخطأ ولامقدس ولا معصوم ،لأنه رأي بشر قال أو عمل به ،تبعاً لفهمه هو ،ونتيجة لازمة لظروف بيئية معينة لابسته وعايشته .لهذا نستطيع القول بأن الشريعة – في الجوهر – منهاج يسعى إلى الكمال ،ولذا فلا تعارض بينها وبين العقل ،والشريعة – بمعنى أدق – تجمع العوائد=

يقول القاضي عبد الجبار : التمسك بالسنة طريقتنا[1] .

ويقول نافياً عن نفسه – وعن المعتزلة – كراهة الحديث : معاذ الله أن نقول ذلك[2] .

والحقيقة التي يمكن أن ينتهي إليها الباحث المنصف في الفكر الاعتزالي ، هي أن المعتزلة لم يكرهوا الحديث ، بل كرهوا رواية الحديث دون تدبر .وفي ذلك يقول

=،ولهذا فقد صدق من قال إن الفقه ليس هو الشرع بالضرورة ،تأسيساً على أن كل ما تأتي به الشريعة يكون تابعاً للعوائد ،وهو – لهذا – يتغير حكمه إذا ما تغيرت عادة قديمة إلى عادة جديدة ،لأن الفقه – في مجمله – اجتهاد لاستنباط الأحكام يقوم على أساس العقل والرأي ،وهو – بهذا الوصف – غير ملزم إلا حين يفضي إلى مصالح ملموسة واقعاً في أرض الناس ،وهذا معناه – أيضاً – أن الفقه ليس الكتاب ولا السنة ،لأنهما – وحدهما – المصدران الإلهيان ،أما هو – الفقه – فعمل من أعمال هذا الفقيه أو ذاك ،ومن هنا فقد جاء "إن الشريعة الإسلامية – إذاً – ثابته لا تتغير ،لأنها ترسم إطاراً واسعاً شاملاً يتسع لكل تطور ،أما الفقه الإسلامي فمتغير ،لأنه يتعلق بتطبيقات قانونية لتلك المبادىء العامة في القضايا والأوضاع المتجددة التي تنشأ من تطور الحياة وتغير العلاقات وتجدد الحاجات " انظر :سيد قطب :كيف نستوحي الإسلام .سلسلة محاضرات من الفكر الإسلامي المعاصر . مكتبة الحديث .القاهرة .ص٥٧ ،المستشار :محمد سعيد العشماوي : الربا والفائدة في الإسلام .دار سينا للنشر .القاهرة ١٩٨٧م ط١ ص٢٧ ،٢٨ ، ونزيد – سعياً وراء ثقافة معرفية فقهية – أنه لما كانت الأصول الشرعية الدالة تنحصر – في المقام الأول – في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فإن استنباط الأحكام منها استلزم توليد الإجماع والقياس ، وهذا استلزم – بدوره – اختلافاً أدّى _ أخيراً – إلى ظهور مذاهب فقهية عديدة أشهرها المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة والمعتمدة ... وهي : المذهب الحنفي ... نسبةً إلى أبي حنيفة النعمان " ٨٠ : ١٥٠هـ " وهذا المذهب يعد أول المذاهب الفقهية الأربعة وأكثرها أخذاً بمبدأ القياس . ثم المالكي ... نسبةً إلى مالك بن أنس " ٩٥ : ١٧٩ هـ " الذي يمكن اعتباره أول من فتح باباً فقهياً جديداً هو عمل أهل المدينة . ثم الشافعي ... نسبةً إلى محمد بن إدريس الشافعي " ١٥٠ : ٢٠٤ هـ " الذي يمكن القول بأنه بعد أول واضع لعلم أصول الفقه . ثم الحنبلي ... نسبة إلى أحمد بن حنبل " ١٦٤ : ٢٤١ هـ " الذي – ربما – تكون مشكلة خلق القرآن قد جعلت منه أسطورة في نظر جمهور عريض من المسلمين .علاوةً على مذاهب فقهية أخرى أقل اشتهاراً عن تلك الأربعة ... وهي : مذهب الشيعة ... الذي أقيم – في الأساس – على تناول بعض الصحابة رضي الله عنهم بالقدح ، وعلى القول بعصمة الأولياء الشيعة ورفع الخلاف عن أقوالهم . ومذهب الظاهرية ... صاحب التشدد المعروف في ضرورة الأخذ بحرفية النص الدال ، ورفض – بل وتبديع – الرأي .ومذهب كل من الأوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وسفيان بن عيينة والطبري .انظر للتفصيل وفي مواضع مختلفة : ابن خلدون : المقدمة ، أحمد أمين : ظهر الإسلام . ج٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان . ج١ ، ج٢ ، محمد ياسر شرف : الوحدة المطلقة عند ابن سبعين . بغداد ١٩٨١م

[1]- القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال .ص١٥٦

[2]- القاضي عبد الجبار : المصدر السابق .ص١٩٤

القاضي عبد الجبار : إذا كان قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كراهة قراءة القرآن بدون تدبر وتأمل ، فالحديث بذلك أولى [1] .

ومن هنا فإن تدقيق المعتزلة يكون منصباً – وبالأساس – على السند ليروا فيه ما يصح وما لا يصح ، لأن " من حدّث عن غيره بما لا يعلم أنه قد سمع عنه ، إما على جملة أو تفصيل ، فهو مقدم على قبيح لا يحل منه ذلك " [2] .

ذلك كله لأن المعتزلة تجعل العمل عندهم " على أدلة العقول التي لا تحتمل وعلى أدلة السنة القاطعة " [3] .

وإلى ذلك – أيضاً – يشير أبو رشيد النيسابوري بقوله " إننا لا نجوّز شيئاً لا يُعقل ، وإنما نجوّز ما هو معقول " [4] .

ولذلك فإننا نجد عند المعتزلة موقفاً جديراً بالاعتبار متعلقاً بـ" أحاديث الآحاد " [5] يحرصون من خلاله على تمييز النص المنقول حتى لا يكون هناك في الحديث

---

[1]- القاضي عبد الجبار : فصل الاعتزال . ص١٩٤

[2]- القاضي عبد الجبار :المصدر السابق .نفس الموضع

[3]- القاضي عبد الجبار :المصدر السابق .ص١٩٥

[4]- أبو رشيد النيسابوري :ديوان الأصول .تحقيق .د.محمد عبد الهادي أبو ريدة .القاهرة ١٩٦٩م ص٣٠٥

[5]- أحاديث الآحاد هي الأحاديث التي تكون غير متواترة ،أو التي تُروى عن واحد فقط وليس عن جماعة ،أو عن أكثر من واحد ،وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ،على ما أثبتت كتب السيرة والتاريخ ،دائماً في جماعة من أصحابه ،وعلى الدوام في جمع منهم ،بل إنه قد روي عنه صلى الله عليه وسلم ،أنه كان يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ،عدت أنا وأبو بكر وعمر .أي أنه كان دائماً محاطاً بأصحابه ،كما كان في العالب مصاحَباً بأبي بكر وعمر ، وكان – صلى الله عليه وسلم – على الدوام .. وخاصةً فيما يتعلق بشؤون العبادات والمعاملات يكرر على أصحابه الأحكام حتى يعوها ويفقهوها عنه .ومن ثم فخبرالآحاد غير خبر التواتر ،وهو – الآحاد – ما عدم شروط التواتر أو بعضها ،بأن كان إخباراً عن غير محسوس ،أو رواه ممن يجوز عليه الكذب عادةً ،لكونه واحداً في الحقيقة ، أو جماعه لا يمتنع تواطؤهم على الكذب عادةً ،أو كانوا ممن يستحيل منهم الكذب عادةً ،لكن في بعض طبقاته دون بعض .وفي العلم به قولان :الأول :لا يحصل به العلم ..وهو قول الأكثرين ،والثاني :يحصل به العلم ..وهو قول جماعة من المحدثين وبعض أهل الظاهر .وهذا معناه أن مسأله العلم من خبر الآحاد انقسم فيها الناس قسمين :منهم من نفى حصول العلم بخبر الآحاد ،ومنهم من أثبته .والمثبتون :منهم من طرد ذلك في جميع أخبار الآحاد ،ولم يخصه بواحد معين ،كبعض أهل الظاهر ،ومنهم من خصه بأخبار بعض الآحاد كالشيخين ونحوهما ،أو ببعض أخبار الآحاد كأخبار الرؤية والقدر والجهة والشفاعة ونحوهم ،وأختار الآمدي أنه إنما يفيد العلم مع القرائن لا بدونها .انظر في تفصيل ذلك :نجم الدين سليمان الطوفي :شرح مختصر الروضة .تحقيق=

النبوي الشريف روايات ليست منه ، وذلك كله أدى بهم إلى " إخضاع الخبر المروي للنقد إلى أن تثبت صحة إسناده إلى الرسول "[1] .

ويذهب المعتزلة إلى القول بأنه في أحاديث الآحاد " لا ينبغي قبول أي منها إذا خالف الكتاب والسنة المقطوع بها "[2] .

وقد دفعهم مذهبهم هذا إلى القول بأنه " لا يجوز لأحد أن يقول في خبر الآحاد : قال الرسول قطعاً ، وإنما يجوز أن يقول : رُوي عنه ذلك "[3] .

??????????

=.د.عبد الله عبد المحسن التركي .الرياض . ج٢ ص١٠٣ وما بعدها ،أبو الحسين البصري :المعتمد في أصول الفقه .جمع.الشيخ خليل الميس .دار الكتب العلمية .بيروت ١٩٨٣م ط١ ج٢ ص٩٢ وما بعدها ،المستشار محمد سعيد العشماوي .الربا والفائدة في الإسلام .ص٣٥

[1]- حسني رينة :العقل عند المعتزلة .ص١١٩

[2]- القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص١٩٤

[3]- القاضي عبد الجبار :المصدر السابق .ص١٨٦

obeikandl.com

الفصل الثاني :

مدرستا البصـــــــرة وبغداد :

الإرهاصات والدواعي ومسائل الخـــــــــــلاف

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني : مدرستا البصرة وبغداد : الإرهاصات والدواعي ومسائل الخلاف

أولاً : الإرهاصات والدواعي

ثانياً : بعض رجالات المعتزلة في البصرة

واصل بن عطاء

عمرو بن عبيد

أبو الهذيل العلاف

إبراهيم بن سيار النظام

الجبائيان : أبو علي وأبو هاشم

ثالثاً : بعض رجالات المعتزلة في بغداد

بشر بن المعتمر

أبو موسى المردار

الجعفران : ابن حرب وابن مبشر

الإسكافي

رابعاً : الخلاف بين المدرستين

حقيقة الخلاف عند كل من المشايعين والمخالفين

من صور الخلاف

توصيف الخلاف

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً : الإرهاصات والدواعي :

الخلاف بين المعتزلة بعضهم وبعض ، وإن عنف في مسألة وهدن في مسألة أخرى ، فهو قد كان خلافاً في قضايا هي بطبيعتها تحتمل الخلاف ، ومن ثم يصبح هذا الخلاف – فيما نرى – محسوباً للمعتزلة وليس محسوباً عليهم ، ذلك لأن المعتزلة هم الداعون إلى نبذ التقليد ،ولو كان للأكثري ،إذ التقليد "لاحقيقة وراءه"[١] .

وقد نعلم أن واصلاً بن عطاء هو الذي أسس مدرسة الاعتزال في مدينة البصرة العراقية ، واستمرت زعامة الاعتزال معقودة لمدرسة البصرة الاعتزالية ،إلى أن أسس بشر بن المعتمر مدرسة بغداد الاعتزالية في بغداد[٢] ،وكلا المدرستين تذهب إلى القول بالأصول الاعتزالية الخمسة : التوحيد ،والعدل ،والوعد والوعيد ،والمنزلة بين المنزلتين ،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذلك لأنه "لايستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة ،فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي"[٣] .

وكما صدّرنا هذا الفصل بالقول بأن اختلاف المعتزلة اختلاف فيما هو بطبيعته قابل للخلاف ، إلا أننا نجد أعداء المعتزلة وقد صوّروا ذلك الخلاف على غير صورته الفكرية[٤] .

لكن الأمر يظهر على صورته الحقيقية إذا ما عرفنا أن المعتزلة مدرسة فكرية تنزع – دوماً – إلى جانب العقل ، والعقل – بطبيعته – موجد للخلاف ، إذ أنه أداة للتفكير لا التقليد ، وإلى هذا الأمر يشير المقدسي بقوله " كما لاتجد اثنين على صورة واحدة وصبغة واحدة وهمة واحدة ، إلا في الشاذ النادر ، فكذلك في وجود اثنين على

١- مطهر بن طاهر المقدسي :البدء والتاريخ .مصر١٩٠٧م ج٤ ص١ ، ٢.

٢- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠.

٣- القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص١٢٩ ، ٢٤٦ ، الخياط :الانتصار .ص١٢٧ ، الملطي :التنبيه والرد .ص٣٨ ، النشي :العلم الشامخ .ص٧١

رأي واحد وخاطر واحد "[1] ، ويقول : وإذا كان الدين الواجد يجمع عالماً من الخلق ، فإن الآراء تتوزعهم والهمم تتشعب بهم[2] .

وعندما نعرض لمن درسوا خلاف المعتزلة ، نجد هؤلاء الدارسين وقد تأولوا الخلاف الذي قد كان بين مدرسة البصرة ومدرسة بغداد ، فنجد منهم من يجعله مجرد خلاف في الفرعيات لا يطعن في العقيدة الاعتزالية نفسها[3] ،بينما نجد مؤرخين آخرين قد ذهبوا إلى تصعيد الخلاف إلى درجة اللاعودة ، إذ يُعتبر عندهم خلافاً في الأساسيات لا في الفروع الثانوية[4] .

ونحن لا نقلل من أثر ذلك الخلاف – فضلاً عن نفيه – ويكفي للتدليل على ذلك، أن أبا رشيد النيسابوري – موضوع هذا المؤلَّف – قد أفرد لذلك الخلاف كتاباً يحمل اسم " المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين "[5] .

وجوهر الخلاف بين البصريين والبغداديين يكاد أن يبدأ بمسألة التشيّع للإمام علي بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه ،وخلافته ، فلقد كان بشر بن المعتمر وأصحابه البغداديون يتشيعون لعلي كرم الله وجهه ، على حين كان البصريون يفضلون أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ويذهبون إلى القول بأفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، بينما يقول البغداديون إن علياً أفضل من أبي بكر الصديق ، وإن أبا بكر أفضل من عمر بن الخطاب ، وإن عمر أفضل من عثمان[6] .

---

[1]- المقدسي :البدء والتاريخ .ج٤ ص١

[2]- المقدسي :المصدر السابق .نفس الموضع

[3]- القاضي عبد الجبار :فصل الاعتزال .ص٣٤٦ ،الملطي :التنبيه والرد .ص٣٨ ،سيديو :تاريخ العرب العام .ترجمة .عادل زعيتر .مطبعة الحلبي .القاهرة ١٩٤٨م ص٣٩٢ ،حنا الفاخوري :تاريخ الفلسفة العربية .ص١٥٢

[4]- أحمد بن يحيي المرتضي :طبقات المعتزلة .ص ح ،ابن تيمية :بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .بهامش منهاج السنة النبوية .دار الكتب العلمية .بيروت .ج١ ص٨٨

[5]- حقق آثر سرام الخلاف في الجواهر ،وقد طُبع في برلين سنة ١٩٠٢ م،هذا وقد حقق الدكتوران رضوان السيد ،ومعن زيادة كتاب أبي رشيد كله ،وهويتضمن المسائل التي وقع فيها الخلاف بين معتزلة البصرة ومعتزلة بغداد من جوهر وعرض وطبيعيات وإنسانيات . وعن هذا الخلاف .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص١٠٢ ،١٠٤

[6]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :لسان الميزان .حيدر أباد ١٣٣٠هـ .ج٦ ص٣٣ .القاضي عبد الجبار :فصل الاعتزال .ص٥٢ :٥٤ ، القاضي عبد الجبار :شرح الأصول=

ثانياً : بعض رجالات المعتزلة في البصرة :

واصل بن عطـــاء :

هو أبو حُذيفة واصل بن عطاء المعتزلي ، المعروف بالغزّال .مولى بني ضبة ، وقيل مولى بني مخزوم ، وقيل إن واصلاً كان مولى لبني هاشم[1] .

ولم يكن واصل غزّالاً ، إنما كان كثير الجلوس في سوق الغزّالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي[2] ، فكان يعرف المتعففات من النساء فيصرف صدقته إليهن . وكان ألثغ الراء ،وبلغ من شدة نكائه أنه لم يكن ينطق حرف الراء في كلامه أبداً ، حيث أسقط هذا الحرف من كل عباراته حتى لا يُعرف أنه ألثغ ...وفي ذلك جاء قول الشاعر :

يجعل البر قمحـــــــــاً وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يقل مطراً والقول يعجلـــه فعاد بالغيث إشفاقاً من المطـــر

ولد واصل عام ثمانين للهجرة في المدينة المنورة ، ونشأ بالبصرة وقت أن كان محمد بن الحنفية – أبو عبد الله – يدرّس القرآن والحديث والكثير من أمور العقائد والعبادات ،وتوفي واصل عام مائة وواحد وثلاثين للهجرة عن واحد وخمسين عاماً[3].

=الخمسة .ص٧٦٦ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل . ج٢٠ "الإمامة " .تحقيق .د.عبد الحليم محمود ،د.سليمان دنيا .القاهرة .ق١ ص١١٢ :١١٤ ،نشوان الحميري : الحور العين .ص٢٢٩ ،الملطي:التنبيه والرد .ص٤١ ،ابن أبي الحديد :شرح نهج البلاغة .ج١ ص٧ ،د.أحمد محمود صبحي :في علم الكلام .مؤسسة الثقافة الجامعة .الإسكندرية ١٩٧٨م ج١ ص٣٨٢

[1]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٣ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٤٢ ،طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٢ ،١٦٣ ،الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٤٠ ،الشهرستاني :الملل والنحل . ج١ ص٤٦ ،ياقوت الحموي :معجم الأدباء .دار المأمون .القاهرة .ج١٩ ص٣٤٢ ،المقريزي :الخطط المقريزية .ج٤ ص١٦٤ .هذا ويرجح الدكتور علي سامي النشار كون واصل مولى لبني هاشم ،معللاً ذلك بأن واصلاً كانت بينه وبين أحد أفراد البيت الهاشمي صلات .انظر :د.علي سامي النشار :نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام .ج١ ص٣٨١

- ياقوت الحموي :معجم الأدباء .ج١٩ ص٣٢٤ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة وأثرها في اللغة .ص٣٣٠

- القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٤٢ ،د.علي سامي النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٣٨٢ ، د.زكي نجيب محمود :المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري .ج١ سروف .القاهرة ١٩٨٧م ط٣ ص٨٠، القاضي عبد الجبار :المنية والأمل=

وكما تتلمذ واصل على يد محمد بن الحنفية ، فقد تتلمذ – كذلك – على يد الحسن البصري ، وهذا ماجاء في قول طاش " ثم إن واصلاً جالس الحسن البصري بعد الإمام إبي هاشم المذكور ، يأخذ منه الفقه ، ثم ترك مجلس الحسن البصري "[1] ، كما يمكن القول بأن واصلاً قد أخذ بعضاً من مسائله من غيلان الدمشقي تلميذ معبد الجهني[2] .

مما سبق يتبين لنا أن واصلاً " نتاج للإمامين : أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأخيه الحسن بن محمد بن الحنفية ، وأحدهما معتزلي بحت ،والآخر مرجيء بحت ، ثم ثالثهما الحسن البصري ، أخذ عنه الفقه ،ثم في مدرسته عرف مذهب القدر "[3] .

=.ص٣٣: ٣٨، ١٥١: ١٥٤، واصل بن عطاء :خطبة واصل التي جانب فيها الراء .ضمن نوادر المخطوطات .تحقيق .عبد السلام هارون .المجموعة الأولى .القاهرة ١٩٧٣م ط٢ ص١١٧ : ١٣٦،نشوان الحميري :الحور العين .ص٢١١ ،أبو الحسن الأشعري :مقالات الإسلاميين .ج١ ص١٧، ١٨، ٢١ ،الشهرستاني : الملل والنحل .ج١ ص٤٦ :٤٩ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٧٧ ،الإسفراييني :التبصر في الدين .ص٤١ ، الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٠ ،الخوارزمي :مفاتيح العلوم .مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٩٨١م ص١٨ ،شارل بلات :الجاحظ .ص١٧٥

[1]- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٤ ،البلخي :فضل الاعتزال .ص٦٥ ،نشوان الحميري :الحور العين .ص٣٠٦ ،ياقوت الحموي :معجم الأدباء .ج١٩ ص٢٤٦ ،المقريزي :الخطط .ج٤ ص١٦٤ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٦،زهدي جار الله :المعتزلة .ص٣ ،ابن خلكان :وفيات الأعيان .تحقيق .د.إحسان عباس .دار الثقافة .بيروت .ج٢ ص٨٩

[2]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٠ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٧ هامشا ١ ،٢ ،ابن قتيبة :المعارف .ص٤٨٤ ،طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٤ ،جمال الدين بن نباتة المصري :سرح العيون .ص٣٠١

[3]- د.علي سامي النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٣٨٣ ،ويمكن القول بأن رأس الاعتزال البصري قد كان الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هـ ،وتتلمذ عليه كل من واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١هـ ،وعمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٣هـ ،وعن واصل أخذ الاعتزال كل من عثمان الطويل ،وحفص بن سالم ،والحسين بن ذكوان ،وقد أخذ عن حفص بن سالم كل من العلاف ،المتوفى سنه ٢٣٥هـ ،وأبو بكر الأصم ،ومعمر بن عباد ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ،وقد أخذ عن الأصم كل من النظام ،المتوفى سنة ٢٣١هـ ،والشحام ،المتوفى سنه ٢٣٣هـ ،والفوطي ،المتوفى سنة٢٣٦هـ ،وبشر بن المعتمر ،المتوفى سنة٢٣٦هـ (على قول الشهرستاني فى الملل) أو ٢١٠هـ (على قول القاضي عبد الجبار في المنية والأمل)،وهو مؤسس فرع معتزله بغداد ،وقد أخذ عن الشحام الأسواريُّ ،المتوفى سنه ٢٠٠هـ ،وقيل ٢٤٠هـ ،وأخذ عن الفوطي عباد بن سليمان ،المتوفى سنة ٢٥٠هـ ،وأخذ عن الأسواري أبو علي الجبائي ،المتوفى سنة=

وقد عاصر واصل بن عطاء كلاً من أبي حنيفة النعمان ،المتوفى سنة ١٥٠هـ ، وأبي يوسف ، المتوفى سنة ١٨٢هـ صاحب كتاب " الخراج " ، ومالك بن أنس ، المتوفى سنة ١٧٩هـ ، ومسلم بن خالد أستاذ الشافعي[1] .

ولقد كان واصل بن عطاء تقياً متديناً ، وكان واحداً من أجلاء المؤمنين ، ولما زوّجه عمرو بن عبيد أختَـه ، قال لها : زوجتك برجل ما يصح إلا أن يكون خليفةً. حتى أن زوجة واصل – أختَ عمرو – سُئلت أيهما أفضل :عمرو بن عبيد أم واصل ؟ قالت مادحة لواصل : بينهما ما بين السماء والأرض ، فقيل لها : كيف كان علمه ؟ فقالت :كان واصل إذا جنه الليل صف قدميه يُصلي ،ولوح ودواة موضوعان ، فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس يكتبها ،ثم عاد في صلاته[2] .

وإلى قريب من هذا يشير البلخي بقوله " سُئل أبو هاشم عبد الله محمد بن الحنفية: كيف كان علم أبيك محمد بن الحنفية ؟ فقال : إذا أردتم أن تعرفوا ذلك ، فانظروا إلى أثره في واصل "[3] .

ويقول أبو القاسم البلخي عن واصل : رُوي عن رجل جليل من أصحاب ال "ن أنه قال : ما كنا نعد علياً أيام واصل ملكاً[4] .

وفي مديح واصل بن عطاء لقدرته وتمكنه من لغته ، قال بشّار بن برد[5] شعراً جاء فيه :

=٢٩٥هـ ،وعنه أخذ ابنه أبو هاشم ،المتوفى سنة ٣٢١هـ ،فهو أبوه وأستاذه ،وعن أبي هاشم أخذ أبوالحسن الأشعري ،الذي أصبح بعد ذلك زعيماً للأشعريين .

[1]- طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٧ ،ابن كثير :البداية والنهاية .ج١٠ ص٢٥٢

[2]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٤ ،الذهبي :ميزان الاعتدال .ج٣ ص١٨٣ ،١٩٨ وما بعدها ،ابن قتيبة : المعارف .ص٤٨٢

[3]- أبو القاسم البلخي : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة .ص٦٤

[4]- البلخي :المصدر السابق .ص٦٦ ،نشوان الحميري :الحور العين .ص٢٠٨

[5]- هو الشاعر بشار بن برد ،المعروف بـ"المرعث" لأنه حين كان صغيراً كان يضع في أذنه قرطس .والقرط عند العرب سمسى الرعثة . وبشار يعد أشعر الشعراء على الإطلاق .ولد سنة ٩٥هـ ومات سنة ١٦٧هـ صربا بالسباط ، وأصله من طخارستان ونشأ في عقيل بجاء الى بغداد ، ونسب إلى إمرأة عقيلية أعتقته من الرق ، وكان بشار كثير المدح لواصل ، إلا أن واصلاً طالب بعقله !!! .انظر : الجاحظ :البيان والتبيين .القاهرة ١٣٣٢هـ ج١ ص١٤ ،أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني .دار الكتب العربية .القاهرة ١٩٢٩م=

أبا حذيفة قد أتيت معجـــــــزة من خطبة بدهت من غير تقدير
وإن قولاً يروق الخافقين معـــــاً لمسكت مخرس عن كل تحبير[1]

وقال أيضاً :

تكلف القول والأقوام قد حفلـــوا وحبّروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلي بداهتـــــــه قبل التصفح والإغراق في الطلب[2]

ولقد كان واصل بن عطاء ذا أيادي بيضاء في نشر لواء الإسلام ، إذ أنه " أرسل رجاله في الآفاق يدعون إلى دين الله ؛ فأوفد إلى المغرب عبد الله بن الحارث فأجابه خلق كثير ، وهناك بلد تدعى البيضاء يقال إن فيها مائة ألف يسمون الواصلية ، وكذلك أوفد إلى اليمن القاسم بن الصعدي وغيره كثيرإلى كثير من البلدان: كالجزيرة والكوفة وخراسان[3] ، فأوفد إلى الجزيرة أيوب بن الأوتر ، وإلى الكوفة الحسين بن نكوان ، وإلى خراسان حفص بن سالم وأمره بلقاء جهم ومناظرته "[4] .

يقول الدكتور النشار : وفي سنة ١٣١هـ مات الشيخ الكبير عن إحدى وخمسين سنة فقط عن حياة نقية برة ، وقد أجمع المعتزلة أنه لم يمس المال في حياته ، فهو قد تورع عن المال تورعاً كاملاً ، ولم يكن – مع قوة عارضته – يذل بنفسه ، بل كان

=ج٣ ص٣٣٤ ،ياقوت الحموي :معجم الأدباء .ج١٩ ص٣٤٤ ، وفي قصة طلب واصل قتل بشار ، نذكر أن ذلك قد حدث لما قال بشار بالرجعة وتصويب رأي إبليس في تقديم النار على الطين ورعمه – بشار – أن جميع المسلمين قد كفروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . هنا قال واصل : أما لهذا الأعمى الملحد المسئف المكني بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا العالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله . وتعليقاً على كلام واصل هذا جاء القول " إنه – واصل – لما لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث، جعل المسئف بدلاً من المرعث ، والملحد بدلاً من الكافر . وقال لولا أن الغيلة سجية من سجايا العالية ، ولم يذكر المنصوريه ولا المغيريه لمكان الراء . وقال لبعثت إليه من يبعج بطنه . ولم يقل لأرسلت إليه . وقال على مضجعه ، ولم يقل على فراشه " انظر : عبد السلام هارون . نوادر المخطوطات . مج١ ص١٢٥

[1]- الجاحظ :البيان والتبيين .ج١ ص١٤

[2]- أبو الفرج الأصفهاني :الأغاني .ج٢ ص٣٢٤

[3]- البلخي :فصل الاعتزال .٦٦، ٦٧ ،الأشعري :مقالات الإسلاميين .ج١ ص٣٢

[4]- نشوان الحميري:الحور العين .ص٣٠٦ :٣٠٩،الأشعري:مقالات الإسلاميين.ج١ ص٣٢

أقرب الناس إلى الصمت ، وكان يلازم مجلس الحسن البصري ويظنون به الخرس من طول صمته ، فلا يتكلم إلا حين تدعو الحاجة إلى الكلام .. فيهدر هديراً[1] .

???????

عمرو بن عبيد :

هو عمرو بن عبيد بن ثاب[2] ، وعنه يقول الدكتور البشار : أول مفكر معتزلي احتل مكانة ممتازة في تاريخ المدرسة المعتزلية البصرية ، وهو عمرو بن عبيد بن باب ، ولد عام ٨٠هـ وتوفي عام ١٤٤هـ ، بل إن المعتزلة تنسب إليه قدر انتسابها إلى واصل بن عطاء ، فهو – في الحقيقة – قرين لواصل أكثر منه تلميذ له[3] .

وأكثر المراجع تذهب إلى أنه عمرو بن عبيد بن باب[4] ، وهو من طبقة المعتزلة الرابعة .. "عمرو بن عبيد بن باب ، وباب من سبي بابل ومن ثغور بلخ ، وهومولى لآل عرادة من يربوع بن مالك ، وكنيته عمرو أبو عثمان "[5] .وكان أبوه عاملاً للشرطة في خدمة الحجاج الثقفي[6] ، لكن عمراً كان تقياً ورعاً يعرف لله تعالى قدره وللدين حرمته وقدسيته ، على غير ما كان عليه أبوه عبيد ، ولهذا قال صاحب "الوفيات " : كان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه قالوا : هذا خير الناس ابن شر الناس ! فيقول أبوه : صدقتم ، هذا إبراهيم وأنا آزر .وسُئل الحسن عنه فقال :لقد سألت عن

---

[1]- د.البشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٣٩٩

[2]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٨ ،نشوان الحميري :الحور العين .ص١١١ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٣٥١

[3]- د.البشار .نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٣٩٩

[4]- د.البشار :المرجع السابق .نفس الموضع ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٣٤٠ ،ابن خلكان : وفيات الأعيان .ج٣ ص٤٦٠ ،الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٤٢ ،البلخي :فصل الاعتزال .ص٦٨، ٦٩ ،طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٤، ١٦٥ ،الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد .ج١٢ ص١٦٦ ،ابن قتيبة :المعارف . ص٤٨٢

[5]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٨ ،ابن قتيبة :المعارف .ص٤٨٢ ،نشوان الحميري :الحور العين . ص١١٢ ،البغدادي :تاريخ بغداد .ج١٢ ص١٦٦ ،ابن خلكان :وفيات الأعيان .ج٣ ص٤٦٠ ،د.البشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٣٩٩ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة .ص٣٥١

[6]- هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ،يُكنى أبا محمد ،كان أحمس دقيق الصوت ، ضرب الكعبة بالمنجنيق عام ٧٢هـ ، وهوقاتل عبد الله بن الزبير حين خرج على عبد الملك بن مروان الأموي ،وذلك في سنة ٧٣هـ .انظر : كارل بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية .ص١٣٤

رجل كان الأنبياء ربته وكان الملائكة أدبته ، إذا قام بأمر قعد به ، وإذا قعد بأمر قام به ، وإذا أمر بشيء كان ألزم الناس له ، وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له ،ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن ولا باطناً أشبه بظاهر .. منه[1] .

ويقول أبو القاسم البلخي : هو من جملة أصحاب الحسن البصري ، وكان الحسن إذا ذكره قال هو خير فتيان البصرة .وله فضائل كثيرة ليس يجمعها إلا كتاب مفرد . حج أربعين سنة ماشياً وبعيره يُقاد معه يركبه الفقير والضعيف والمنقطع به ، وكان يحي الليل كله في ركعة واحدة ، فعل ذلك غير مرة في المسجد الحرام[2] .

وكان المنصور الخليفة العباسي – ثاني الخلفاء العباسيين – يبالغ في تعظيم ابن عبيد ، حتى قيل له : إن عمراً خارج عليك .فقال : هو يرى أن يخرج علي إذا وجد ثلاثمائة وبضعة عشر مثله ، وذلك لا يكون[3] .

وإما مات عمرو – سنة ١٤٤هـ – وقف هذا الخليفة العباسي يُصلي عليه ويقول: ما بقي على الأرض أحد يُستحى منه .. ثم أنشد :

على عاتقيك الله من متوسد	قبراً مررت به على مران[4]
قبراً تضمّن مؤمناً منحنفاً	حفظ الإله ودان بالقرآن
فلو أن هذا الدهر أبقى واحداً	أبقى لنا عمراً أبا عثمان[5]

وإن يوافق عمرو واصلاً في آرائه أول الأمر ، حتى إنه " لما أوذي بعض محبي واصل وكان لا يتكلم – يقولون : هذا الذي تعدونه في الخرس ليس أحد أعلم بكلام الزندقة منه ومفارقة الخوارج ، وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين

---

[1] نشوان الحميري :الحور العين .ص١١١ ،ابن خلكان :وفيات الأعيان .ج٢ ص٤٦٠
البلخي فضل الاعتزال .ص٦٨ ،طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة .ج٢ ص١٦٥
،نشوان الحميري :الحور العين .ص١١١

[2] القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤١ ،ابن كثير :البداية والنهاية .ج١٠ ص١٢٤

[3] مران .بفتح الميم وتشديد الراء .موضع بين مكة والبصرة .انظر :ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج٥ ص٩٥ ، البلخي :فضل الاعتزال .ص٦٨

[4] القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤١ ،ابن فتيه :المعارف .ص٤٨٣ ،ابن خلكان :وفيات الأعيان .ج٣ ص٤٦٢ ،نشوان الحميري :الحور العين .ص١١٢ ،البلخي : فضل الاعتزال .ص٦٨ ،د.البشار :نشأة الفكر الفلسفي. ج١ ص٤٠٢

والرد عليهم منه .قال عمرو : أنّى هذا ؟وله عنق لا يأتي معها بخير – وكان واصل طويل العنق – ثم قال عمرو بعد ذلك : أشهد أن الفراسة باطلة ، إلا أن ينظر رجل بنور الله "[1] .

وكان الحسن البصري في هذا الخلاف يقف إلى جانب واصل لا عمرو ، فكأن الحسن البصري حين مات " مات وهو عن واصل راضٍ ، لكنه كان متخوفاً من عمرو بن عبيد "[2] ، لأن عمراً كان مغرقاً في التأويلات العقلية والتجريدات الذهنية ،مما أداه إلى رفض الكثير من الأحاديث ، ما لم توافق ما اجتهد به عقله[3] .

???????

أبو الهذيل العلاف :

هو محمد بن الهذيل العبدي ، كان نسيج وحده ، وعالم دهره ، ولم يتقدمه أحد من الموافقين له ولا المخالفين ، كان يلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين ، وهذا كما يقال أبو سلمة الحذّاء وأبو سعيد المقبري[4] .

وعن ذلك يقول الدكتور النشار : هو أول فلاسفة المعتزلة بلا مُدافع ، بل الممثل الأول للفلسفة الإسلامية .اسمه الكامل هو أبو الهذيل محمد بن أبي الهذيل العلاف ، أو أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، كان مولى لعبد القيس، ولُقب بالعلاف – فيما يقول ابن المرتضي – لأن داره بالبصرة كانت في العلافين ، وهذا خطأ ، فقد لُقب المعتزلة بأسماء الصنائع التي كانوا يقومون بها ، وذلك دليل على أصلهم غير العربي ، هذا وقد ولد العلاف سنة ١٣١هـ ، على ما يذكر الخياط ، أو سنة ١٣٤هـ على ما يذكر أبو القاسم البلخي ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ[5] .

---

[1]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٣٤

[2]- د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٠٣

[3]- الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد .ج١٢ ص١٧٠ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٠٣

[4]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٣ ،٤٤ ،الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٣ ،ابن خلكان :وفيات الأعيان .ج٤ ص١٦٥

[5]- د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٤٣ ،٤٤٤

وعن أبي الهذيل العلاف يقول البلخي : إنه كان من أهل البصرة وكان مولى لعبد القيس[1] .

وهناك اختلاف بين مؤرخي الفرق حول تاريخ مولد أبي الهذيل العلاف : فمن قائل إنه ولد سنة ١٣٥هـ ، ومن قائل إنه ولد سنة ١٣٤هـ ، ومن قائل إنه ولد سنة ١٣١هـ ، وذلك بالبصرة حيث نشأ وتتلمذ على يد عثمان الطويل[2] ، فيقول القاضي عبد الجبار : ولد أبو الهذيل سنة أربع وثلاثين ومائة وكان مولى لعبد القيس[3] .ويقول الشهرستاني : أبو الهذيل العلاف (١٣٥هـ :٢٢٦هـ) هو حمدان بن أبي الهذيل العلاف ، شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والناظر عليها .أخذ الاعتزال عن عثمان الطويل[4] ، وهو مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة البصريين[5] .

ويرى القاضي عبد الجبار أن العلاف " نسيج وحده وعالم دهره "[6] ، ويرى الملطي أن العلاف " غير مُدرك في الجدال ولا مثيل له "[7] .

---

[1]- البلخي :فصل الاعتزال .ص٦٩ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٠٢

[2]- يورد الدكتور سعيد مراد صورالخلاف في هذه المسألة بشيء من التفصيل .انظر :د.سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٣٧٢، ٣٧٣

[3]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٦، ٤٧

[4]- عثمان الطويل هو أحد رجال مدرسة الحسن البصري ،ثم امتنع عنها ،وهواستاذ أبي الهذيل العلاف ، وكان قد أخذ الاعتزال عن واصل بن عطاء ،وقد أرسله واصل إلى أرمينية لنشر الإسلام هناك فوافقه خلق كثير .

[5]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٩ ،القاضي عبد الجبار :المنية والأمل . ص٤٢ ،ابن النديم : الفهرست .تحقيق .رضا تجدد .طهران ١٩٧١م ص٥٦

[6]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٣، ٤٤

[7]- الملطي :التنبيه والرد .ص٤٢: ٤٥ ،وتنسب بعض الدراسات إلى العلاف التدثر ،خاصه في كلامه عن العلم الإلهي ،إذ "أن قوله الله تعالى عالم بعلم ،بعد إثباتاً لصفة العلم كصفة ،وهذا يمكن أن نستخلص منه أن علم الله ليس كلياً ومطلقاً ومجرداً فقط ،بل تناول الجزئيات ،مما يترتب عليه اتصال بمسألة الاختيار والجبر ،من حيث إن القول بشمول العلم الإلهي للجزئيات يعتبر من القول بجبرية أفعال الإنسان ،بمعنى أنها تصبح كغيرها من الحادثات والأسباء ،مجلوقه أزلياً بعلم الله ،لأن تساوي الذات والصفة في مضمون "الوحدة" معناه تساويهما في القدم والأزلية ،فكل شيء وكل فعل - إذاً - معلوم لله منذ الأزل ،أي مقدور حدوثه منذ الأزل ، وحين يحدث إنما يحدث بهذه الحتمية الجبرية ،ولا يبقى لإراده الإنسان في أفعاله مجال للاختيار والحرية ،أما القول بكون علم الله كلياً ومطلقاً ومجرداً ،فيؤدي إلى القول بأن الجزئيات خارجة عن نطاق العلم الإلهي بخصوصها ،وإن كانت داخله في نطاق العلم الكلي المطلق دون تعيين ،وهذا يمكن أن يقترب – بمضمونه – من مذهب القدرية الذي يضع في حسابه حرية الاختيار في فعل الإنسان .هذه الاستنتاجات – إذا صحّت – يمكن أن تقدم لنا شكلاً من أشكال الجبرية=

كان أبو الهذيل العلاف على دراية تامة باللغة العربية ، وكان متنوقاً.لها تذوق المدرك المتمكن ، تذوق رسالة لا تذوق وظيفة ، كما أنه كان عارفاً بأحكام القرآن الكريم وحقائقه الكبرى ، كثير الذود عن الدين ضد المذاهب الغنوصية واليونانية ، والتي كانت تعمل – بطريقة أو بأخرى – على تقويض الإسلام ، مما دفعه إلى الاطلاع على تراث هذه المذاهب اطلاعاً ممتازاً ، ليتمكن من الرد عليهم ، ولذلك كانت " مناظراته مع المجوس والثنوية وغيرهم طويلة ممتدة ، وكان يقطع الخصم بأقل كلام ، وقد أسلم على يديه زيادة على ثلاثمائة ألف رجل .ومن محاسنه أنه أتاه رجل فقال : أشكل علي أشياء من القرآن ، فقصدت هذا البلد ، فلم أجد ممن سألته شفاء لما أرومه ، فلما خرجت في هذا الوقت قال لي قائل :إن بغيتك عند هذا الرجل. فاتق الله وأفدني .فقال العلاف :فماذا أشكل عليك ؟ قال :آيات من القرآن توهمني أنها متناقضة ، وآيات توهمني أنها ملحونة .قال :فماذا أحب إليك : أن أجيبك بالجملة ،أو تسألني عن آية آية ؟ قال : بل تجيبني بالجملة .فقال أبو الهذيل : هل تعلم أن محمداً كان من أواسط العرب وغير مطعون عليه في لغته ، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب ، فلم يكن مطعوناً عليه ؟ فقال : اللهم نعم .قال : فهل اجتهدوا في تكذيبه ؟ قال : اللهم نعم .قال : فهل تعلم أنهم عابوا عليه بالمناقضة أو باللحن ؟ قال : لا .قال أبو الهذيل : فتدع قولهم مع علمهم باللغة ، وتأخذ بقول رجل من الأوساط ؟ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولَ الله[1] .

ومن مناظراته للثنوية ، مناظرته لصالح بن عبد القدوس الزنديق الثنوي[2] ، حيث قال له أبو الهذيل : على أي شيء تعزم يا صالح ؟ قال : استخير الله وأقول بالاثنين. فقال أبو الهذيل قاطعاً إياه : فأيهما استخرت .. لا أم لك [1] ؟

=عند العلاف ،وهو يتناقض مع رأيه القدري المعروف ،أي قوله بحرية الاختيار "انظر : حسين مروة :النزعات المادية .ج١ ص(٦٦ ،٦٦٣

[1]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٤ ،٤٥ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٤٧ ،٤٤٨.

[2]- هو صالح بن عبد القدوس الأردى الحدامي ،كان شاعراً ومتكلماً وواعظاً .انظر : خير الدين الزركلي : الأعلام .دار العلم للملايين .بيروت ١٩٨٠م ج٣ ص١٩٣ ،د.النشار : نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٤١ ،بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية .ص١٨٤

وكان أبو الهذيل العلاف – إلى جانب ورعه وتقواه – أديباً زاهداً متقشفاً ، ينفق ما يأتيه من الخليفة – ستون ألف درهم للسنة – على أصحابه وفقراء المسلمين[٢] .

???????

إبراهيم بن سيار النظام :

هو ابن أخت أبي الهذيل ، من الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة – طبقة العلاف نفسه – وقد أخذ الاعتزال عن أبي الهذيل .ويعد النظام واحداً من كبار المعتزلة ، تاريخ مولده غير متفق عليه ، وتوفي في سنة ٢٣١ هـ[٣] .وهو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري – أبو إسحق – من أئمة المعتزلة شديد العلم بالفلسفة ، وله فرقة تُسمى النظامية ، وتتلمذ على يديه الكـــعبي ، وكان – النظام – مولى من الموالي[٤] .

ويروي القاضي أن أبا عبيدة قال : ما ينبغي أن يكون في الدنيا مثل النظام ، فالأولون كانوا يرون أنه في كل ألف سنة رجلٌ لا نظير له ، والنظام هو رجل هذا الألف[٥] .

وعن النظام يقول الدكتور النشار : النظام أكبر شخصية فلسفية معتزلية في العالم الإسلامي ، صدر عن فكر مبدع ونظام فلسفي دقيق ، شغلت شخصيته القرن الثالث والرابع ، وقد اعتبره ابن حزم وابن نباتة أعظم رجال المعتزلة ، واعتبره طاش

---

[1]- القاضي عبد الجبار : المنية والأمل .ص٤٦ ، د.النشار : نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٤٨

[2]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٦ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٤٩

[3]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٧ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة .ص٣٩٤ :٣٩٧

[4]- القاضي عبد الجبار :المنيه والأمل .ص٤٧ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٤٣ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٤٩ ،الإسفرايني :التبصر في الدين .ص٤٣ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٥٣ ، نشوان الحميري :الحور العين .ص١٥٢ ،٢٠٩ ،د.أبو ريدة :النظام .ص١

[5]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٧ ،٤٨ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٨٤

كبرى.زادة شيخاً من كبار المعتزلة وأئمتهم ، مقدماً في العلوم شديد الغوص على المعاني[1] .

وقد لُقب بـــ "النظام" لأنه كان – فيما يخبرنا بعض المؤرخين – ينظم الشعر الموزون والكلام المنثور ، لكن الشهرستاني يرى أن المعتزلة "يموهون على الأغمار بدينه ، ويوهمون أنه كان نظّاماً للكلام المنثور والشعر الموزون ، وإنما كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، ولأجل ذلك قيل له : النظّام[2] .

كان النظام واسع الاطلاع ، إذ أنه كان وسط الحركة العقلية الفلسفية التي بلغت أوجها في عصر المعتصم : الخليفة العباسي[3] ، فعلاوة على اتصاله – النظام – بأبي الهذيل العلاف – خاله – فقد اتصل بالخليل بن أحمد[4] النحوي الشاعر ، إضافةً إلى اتصاله بالتيارات الفكرية والفلسفية والعقائدية التي كانت في زمانه .هذا .. وقد تتلمذ على يديه الكثيرون من رجال المعتزلة منهم : أبو عمرو الجاحظ وأبو علي الجبائي وابنه أبو هاشم الجبائي [5] .

كان النظام من أشد المدافعين عن الإسلام في منظومته العقائدية والتشريعية ، ولذلك لما حانت ساعته قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أقصر في نصرة دينك ، اللهم ولم اعتقد مذهباً إلا سنده التوحيد ، اللهم إن كنت تعلم مني ذلك فاغفر لي ذنوبي وسهّل علي سكرة الموت .فمات في ساعته[6] .

---

[1]- د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٨٤

[2]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٥٣ هامش ٣ ،الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٤٣ ،البغدادي : الفرق بين الفرق .ص١١٣ ،د.أبو ريدة :النظام .ص٧ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة .ص٣٩٣

[3]- ابن كثير :البداية والنهاية .ج١٠ ص١٦١ ،بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية .ص٢٨٠ ،د.النشار :نشأة الفكر الفلسفي .ج١ ص٤٨٥

[4]- هو الخليل بن أحمد ،صاحب كتاب "العين "وهوأستاذ سيبوية .انظر :ابن كثير :البداية والنهاية .ج١٠ ص١٦١ ،ابن قتيبة :المعارف .ص١٠٨ ،٥٤١ ،نشوان الحميري :الحور العين .ص٥١ ،د.زكي نجيب محمود :المعقول واللامعقول .ص٨٦

[5]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص١٠٧ ،دي بور :تاريخ الفلسفة في الإسلام .ترجمة د.محمد عبد الهادي أبو ريدة .القاهرة ١٩٣٨م ص١٦ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١١٤ ،د.عبد الرحمن بدوي :مذاهب الإسلاميين ،بيروت ١٩٧١م ج١ ص٣٠٢

[6]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٩ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة الاعتزالية .ص٤١١

لقد أثرى النظام الجو الفكري في عصره ، نظراً لأنه – النظام – كان واسع الاطلاع على الثقافات التي عاصرته – وما قبلها – بعد أن حفظ القرآن الكريم والإنجيل والمزامير ، إضافة إلى حفظه للأشعار والروايات وطرق الاختلاف .لكن أخطر ما قدمه النظام هو قوله بـ" الطفرة " حيث يرى أن الخلق "حصل مرة واحدة ولم يتعدد ، معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً،ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض .فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها "[1] ، وهذا القول من النظام دفع البعض إلى القول بأنه – النظام – قد استقى فكرته تلك من الفلاسفة الذين قرأ لهم مؤلفاتهم في الكم والكيف والوضع والأين والمتى ... وكلها – كما نعلم – مقولات أرسطية ، مما يجعل هناك مجالا مقبولاً للقول بأن " نظرية " النظام في الكون مستقاة – بشكل أو بآخر – من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة ، خاصة أنكساجوراس ، الذي كان يتبنى القول بخلق الموجودات دفعة واحدة[2] .

????????

٥- <u>الجبائيان : أبو علي وأبو هاشم :</u>

نعرف أن أبا رشيد النيسابوري – موضوع هذه الدراسة – كان تلميذاً لقاضي القضاة عبد الجبار ، هو وزميله ابن متوية ، وقد كان القاضي عبد الجبار تلميذاً لأبي هاشم – الجبائي الصغير – الذي كان قد أخذ العلم على يد أبيه وأستاذه أبي علي – الجبائي الكبير – والجبائي الكبير هذا كان تلميذاً للشحام[3] ، وهو تلميذ أبي الهذيل العلاف .

1- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٥٦

2- حسين مروة :النزعات المادية .ج١ ص٦٦٥ :٦٦٨

3- هو أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن إسحق الشحام ،من أصحاب أبي الهذيل ،وإليه تُنسب فرقة الشحامية ،وقد انتهت إليه رئاسة المعتزلة في البصرة في زمانه ،وكتب كتباً كثيرة.في الرد على مخالفيه ،كما كتب تفسيراً للقرآن الكريم .كان الشحام ماهراً جدلاً ،مات سنة ٣٦٧هـ .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٦٠ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٣٦ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٥٤ هامش١ ، الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٥١

وتكمن أهمية الشحام أنه قد عاصر فترة انحسار المد الاعتزالي على يد المتوكل[1]، الذي وقف ضد الفكر الاعتزالي بوجه عام وشد من أزر المحدثين[2] .

كما تكمن أهمية الجبائي في أنه يمثل نقطتين من أهم النقاط في تاريخ الفكر الاعتزالي عامة :

الأولى : أنه حاول رأب الصدع الذي أصاب الفكر الاعتزالي على يد أهل السنة والرافضة من الشيعة ، والسلطة السياسية الحاكمة ممثلة في المتوكل وابنه الأكبر المنتصر[3] .

الثانية : أنه يمثل – مع مدرسة القاضي عبد الجبار – الخطوط الأخيرة المكتوبة باليد الاعتزالية ، ذلك لأنه بعد هذا العهد سوف ينسحب الاعتزال لينطوي تحت ثياب التشيع الزيدي[4] .

أما الجبائي الكبير ، فهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ، إمام في علم الكلام منذ صغره ، فقد تعلم هذا العلم على أبي يوسف الشحام ، الذي رأس معتزلة البصرة ، وكان أستاذاً لأبي الحسن الأشعري .ولد سنة خمس وثلاثون ومائتان ، وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة[5] .

---

[1]- ابن كثير :البداية والنهاية .ج١٠ ص٣١٠ :٣١٤

[2]- المقدسي :البدء والتاريخ .ج٦ ص١٢١ ،كارل بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية .ص٢١٢ :٢١٤ ،رهدي جار الله :المعتزلة .ص١٨٠ ،٢١٤

[3]- قتل المنتصر أباه المتوكل لتقديم الأب للابن الأصغر محمد المعتز ..عليه ،وذلك بتحريض من تركي اسمه وصيف ،وتم ذلك ليلاً في قصر الجعفري بسامراء في أخريات سنة ٢٤٧هـ ... وانشد احدهم قائلاً:

حليفة مات لم يأسف له أحد ... وقام آخر لم يفرح به احد

فمر ذاك ومر الشؤم يتبعه ... وقام هذا فقام النحس والنكد

انظر :بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية .ص٢١٣، ٢١٤، ،المطهر المقدسي :البدء والتاريخ .مكتبة الثقافة الدينية .القاهرة .ج٦ ص١٢٢،١٢٣ ،ابن كثير :البداية والنهاية . مكتبه المعارف .بيروت ١٩٨٧م .ج١٠ ص٣١٠ :٣٤٩

[4]- د.أحمد محمود صبحي :الزيديه .ص٣٠٥ ،٣٢١ :٣٢٧

[5]- القاضي عبد الجبار :المنيه والأمل .ص٦٧ ،ابن عبد البر القرطبي :القصد والأمم فيما يعرف بأصول أنساب العرب والعجم .القاهرة ١٣٢٥هـ ص٩٧ ،ابن خلكان :وفيات الاعيان .ج٤ ص٢٦٧ ،ابن كثير :البداية والنهاية. ج١١ ص١١٢ ،١١٣

وإن كان الجبائي الكبير قد ولد في مدينة "جبّي" فقد عاش وتعلم في البصرة ، التي كانت – ما تزال – تتسع لجدل المتكلمين وحواراتهم ، على الرغم من النكبة التي حلت بالمعتزلة على يد أواخر خلفاء بني العباس .

كان أبو علي من أحسن الناس وجهاً وتواضعاً ، وأكثرهم موعظةً واعتباراً ، كان إذا ذكر الموت تنحدر دموعه من عينيه ويأخذ في العظة .

وكان الجبائي الكبير محباً لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فإذا روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعلي بن أبي طالب " أنا حرب لمن حاربكم ،سلم لمن سالمكم " يقول :العجب من هؤلاء النوايب يروون هذا الحديث ثم يتولون معاوية ويقولون به[1] .

كان الجبائي الكبير ذا عقلية نقدية فذة ، لا تأخذ الأمور على عواهنها ، فكان يقول : ليس بيني وبين أبي الهذيل العلاف من خلاف إلا في أربعين مسألة !!! مع علمنا أن الجبائي ما كان يجل أحداً – بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، والصحابة رضي الله عنهم – إجلاله لأبي الهذيل العلاف[2] .

وعنه يقول ابن كثير : أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة ، اسمه محمد بن عبد الوهّاب أبو علي الجبائي ، شيخ طائفة المعتزلة في زمانه ، وعنه استقبل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه .وللجبائي تفسير حافل مطوّل ، وله اختيارات غريبة في التفسير ، وقد رد عليه الأشعري وقال : كأن القرآن نزل في لغة أهل جباء[3] .

وقد ألف الجبائي الكبير في علم الكلام وفي علوم القرآن الكريم وفي الحديث وفي الفلسفة وفي علم النجوم[4] .!!

---

[1]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٧٠ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٣٥ ،الشهرستاني : الملل والنحل .ج١ ص٧٨ ،٧٩ ،طاش كبرى زاده :مفتاح السعاده .ج٢ ص١٦٤ ،١٦٥

[2]- القاضي عبد الجبار:المنية والأمل.ص٧١،د.سعيد مراد:مدرسة البصرة.ص٤٣٠

[3]- ابن كثير :البداية والنهاية .ج١١ ص١٣٥

[4]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٨١ :٩٥ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة .ص٤٣٥ :٤٤٠

وأما الجبائي الصغير:فهو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي،مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وإليه تُنسب فرقة البهشمية التي كان هو رئيسها[1] .

وعنه يقول ابن كثير : ابن عبد الوهاب بن خالد بن حمران بن أبان ، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي ابن المعتزلي !، إليه تنسب الطائفة البهشمية من المعتزلة ، وله تصنيفات في الاعتزال ،كما لأبيه من قبله .مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .قال ابن خلكان : كان له ابن يقال له أبو علي ، دخل يوماً على الصاحب بن عباد فأكرمه واحترمه وسأله عن شيء من المسائل ، فقال : لا أعرف نصف العلم .فقال : صدقت ، وسبقك أبوك إلى الجهل بالنصف الآخر[2] .!!

هذا مايقوله ابن كثير نقلاً عن ابن خلكان ، أما القاضي عبد الجبار فيقول : أبو هاشم بن سلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي رحمه الله ، قدمناه وإن تأخر في السن عن غيره ممن نذكر في هذه الطبقة – التاسعة – لتقدمه في العلم ، ولم يبلغ غيره مبلغه في علم الكلام ، وكان من حرصه يسأل أبا علي حتى يتأذى منه[3] .

وقد كتب أبو هاشم العديد من الكتب في شتى المجالات : فكتب في أصول المذهب الاعتزالي ، وكتب ردوداً على مسائل وردت إليه فأجاب عنها ،وكتب نقوضاً على كتب المخالفين ، وكتب تفسيراً للقرآن الكريم ، وكتب في المعجزات[4] .

???????

ثالثاً :بعض رجال المعتزلة في بغداد :

---

[1]- ابن كثير :البداية والنهاية .ج١١ ،١١٤ ،القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص١٧٧ ،القاضي عبد الجبار : المحيط بالتكليف .ص٤٣٦ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٧٨ ،الإسفراييني :التبصير في الدين .ص٥٣ ، الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص١٨٤

[2]- ابن كثير :البداية والنهاية .ج١١ ص١٧٦ ،علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٣٠٦ ،٣٠٨ .د.سعيد مراد : مدرسة البصرة .ص٤٤١ ،٤٤٢

[3]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٤٢ :٤٤٦

[4]- علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٣٣٢ :٣٣٥ ،د.سعيد مراد :مدرسة البصرة .ص٣٥١ :٣٥٣

بشر بن المعتمر :

من الممكن تصور مدرسة المعتزلة في بغداد على النحو الآتي :

أخذ عن بشر بن المعتمر[1] ،المتوفى سنة ٢١٠هـ (كما جاء في المنية والأمل) أو ٢٢٦هـ (كما جاء في الملل والنحل) كل من أبي موسى المردار ،المتوفى سنة ٢٢٦هـ ، واحمد بن أبي دؤاد ،المتوفى سنة ٢٤٠هـ ،وثمامة بن الأشرس ،المتوفى سنة ٢١٣هـ .وعن أبي دؤاد أخذ الجعفران:جعفر بن حرب ،المتوفى سنة ٢٣٦هـ، وجعفر بن مبشر ، المتوفى سنة ٢٣٤هـ .وعن ابن حرب أخذ الاعتزال الإسكافي ، المتوفى سنة ٢٤٠هـ ،وعيسى بن الهيثم الصوفي .وعن ابن المبشر أخذ الاعتزال الخياط ، المتوفى سنة ٢٩٠هـ ، وهو- بدوره – تتلمذ على يديه أبو القاسم البلخي ، المتوفى سنة ٣١٩هـ[2] .

والباحث في غنى عن القول بأن الاعتزال ظل بصرياً – بحكم بعض العوامل السياسية لا الفكرية – لأنه لما توافقت العوامل السياسية مع التوجهات الاعتزالية ، خرج الاعتزال إلى بغداد ، عاصمة خلافة بني العباس وحاضرة العالم الإسلامي وقتها ، خاصة في عهد المأمون الذي أفرد لهم بلاطه وأفسح لهم في مجالسه .

وبشر هذا هو مؤسس مدرسة المعتزلة في بغداد : هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي ، كان زاهداً عابداً ، من الطبقة السادسة الاعتزالية – طبقة العلاف والنظام – وهو- على أغلب الظن – كوفي انتقل إلى بغداد فأسس فيها مدرسته الاعتزالية البغدادية التي اتسمت بطابع العملية أكثر من الاتصاف بطابع النظرية الذي اتصفت به مدرسة الاعتزال في البصرة .ويمكن إرجاع ذلك إلى تأثر معتزلة بغداد بحركة الترجمة التي كانت على أشدها في عاصمة الخلافة العباسية ، خاصة حين نعلم أن

---

[1]- بشر هذا أخذ الاعتزال على يد معمر بن عباد السلمي .

[2]- القاضي عبد الجبار .المنية والأمل .ص١٠٨ .ابن كثير :البداية والنهاية .ج١٠ ص٣١٩

حركة الترجمة بلغت أوج ازدهارها في زمن الرشيد .الخليفة العباسي ، وهوذلك الخليفة الذي عاصره بشر بن المعتمر[1] .

وقد رأس بشر فرقة البشرية المعتزلية ، وهوصاحب القول بالتولد ونفي الأصلح ومسائل أخرى لم يقل بها أحد من المعتزلة قبله ،وله قصيدة قيل إنها من أربعين ألف بيت !، يرد فيها على مخالفي مذهبه كلهم ،فيقول في أحد أبياتها مدافعاً عن نفسه ضد تهمة أنه رافضي :

لسنا من الرافضة الغـــــــلاة ولا من المرجئة الجفـــــــــاة
لا مفرطين ، بل نرى الصديقـــا مقدماً ، والمرتضى الفاروقـــــا[2]

???????

أبو موسى المردار :

هو عيسى بن صبيح ، أستاذه بشر بن المعتمر ، بلغ من الزهد مرتبة رفيعة ، حتى لُقب بـــ " راهب المعتزلة " وذلك لشدة زهده وتقشفه .توفي المردار حوالي سنة ٢٢٦هـ .أخذ عنه العلم الجعفران وأبو زفر ومحمد بن سويد.وكان المردار مصاحباً للإسكافي وابن الهيثم ،وكان – المردار – أميل إلى العقل أداةً للمعرفة ، إذ العقل عنده موجب لمعرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته ، وتلك المعرفة سابقة لورود الشرائع ، ومن ثم نعلم أنه إن قصر – أي الإنسان العاقل المكلف – ولم يعرف ولم يشكر ، عاقبه الله تعالى عقوبة دائمة .ومن هنا أثبت المردار التخليد واجباً عقلياً[3] .

---

[1]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٩، ٥٠

[2]- القاضي عبد الجبار :المصدر السابق .ص٤٢، ٤٩، ٥٠، ١٦٦، القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٣٤، الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٤٦، ٦٤، ٦٥، الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٢ ، الملطي :التنبيه والرد .ص٣٨، البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٥٦، الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٤٥ ، الخوارزمي:مفاتيح العلوم .ص١٩

[3]- القاضي عبد الجبار .المنية والأمل .ص١٧٠، ١٧١، الشهرستاني :الملل والنحل ج١ ص٦٩، ٧٠ ، الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٤٧، الرازي :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .ص٤٢، البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٦٤

ولما مات وقف على قبره أبو الهذيل العلاف وقال وهو يبكي : هكذا شهدنا أصحاب واصل وعمرو .

???????

الجعفران :

هما :جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر .أما جعفر بن حرب فقد توفي سنة ٢٣٤ هـ ،وأما جعفر بن مبشر الهمذاني فقد توفي سنة ٢٣٦ هـ ، وكلاهما من تلاميذ أبي موسى المردار ، خاصة ابن حرب الذي اعتنق كثيراً من آراء المردار وزاد عليها ، وقد كان الجعفران عالمين ، حتى قيل في ذلك : أعلم من الجعفرين .وكانا زاهدين ، حتى قيل في ذلك :أزهد من الجعفرين[1].وقد ألف ابن حرب كتاباً في أصول المذهب رفضه البغدادي ،ونقضه بكتاب أسماه "الحرب على ابن حرب "!! والجعفران من الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة ،وهما معاصران للخليفة الواثق ،وله – الواثق – مواقف مع ابن حرب تدل على مدى تقدير الواثق لعلمه ومكانته[2] .

???????

الإسكافي :

هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي . كتب الكثير في علم الكلام ، وكان زاهداً عالماً فاضلاً يسعى على معايشه بالخياطة حتى منعه أبواه من الاختلاف لطلب العلم حرصاً منهما علىالكسب ، فأخذه ابن حرب وأجرى على أبويه راتباً شهرياً قدره عشرون درهماً .وقد مات الإسكافي سنة ٢٤٠ هـ[3] .

???????

1- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٦٠ ،الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٩ ،الإسفرايني :التبصير في الدين .ص٤٧ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٦٧

2- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٦٠ :٦٦ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٣٨ ،٤٣٩

3- القاضي عبد الجبار:المنية والأمل .ص٦٦ ،القاضي عبد الجبار :المحيط بالتكليف .ص٤٣٧ ،الإسفرايني : التبصر في الدين .ص٤٨ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص٦٩

رابعاً :الخلاف بين المدرستين :

لا شك أن المعتزلة فرقة من الفرق الكلامية الإسلامية التي تعبّر – في عقلانية قوية – عن روح الإسلام وجوهره ،وأنهم – المعتزلة – يُعتبرون أكثر الفرق الكلامية زوداً عن الإسلام ،وعملاً على دحض آراء وشبه المخالفين ،ونشاطاً من أجل توسيع المدارك العقلية لأصحاب الملة والعقيدة .

ونرى أن الخلاف الذي قد كان بين المعتزلة بعضهم البعض ،هذا الخلاف لم يكن خلافاً مُخرجاً عن الملة ،وقد أوضحنا أن هذا الخلاف – فيما نرى – لم يكن خلافاً جوهرياً ،ودليلنا على ذلك أن المعتزلة متفقون على الأصول الخمسة المعروفة في أوساط المعتزلة[١].وما دام الأمر كذلك فإن الخلاف في الفروع لايُخرج صاحبه من الملة ولا من الفرقة[٢] .

والدارس للمعتزلة ينتهي إلى أنهم كانوا السباقين إلى الزود عن العقيدة الإسلامية ضد أي نحلة يرون فيها مخالفة لما رأوه مما اجتمعت عليه الأمة ، فكُتب المقالات تذكر أن أول كتابين وضعا في هذا الأمر كانا لأول علمين من أعلام المعتزلة : واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد .وإلى هذا جاء قول أبي الحسن الأشعري " وقد حفظ لنا التاريخ اسم كتابين ألفا في أوائل القرن الثاني الهجري في الرد على بعض من ظهر في هذه المدة بنحلة تخالف ما عليه جماعة المسلمين ، فأما أحد الكتابين فكتاب " الرد على القدرية " صنفه شيخ المعتزلة وزاهدهم عمرو بن عبيد .وأما الكتاب الآخر فكتاب " أصناف المرجئة " الذي ألفه أول المعتزلة وأعجوبتهم واصل بن عطاء مولى بني ضبة ، ويقال مولى بني مخزوم .المعروف بالغزال "[٣] .

١- الخياط :الانتصار .ص١٢٧ ،القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص١٣٩ ،الملطي :التنبيه والرد . ص٣٨

٢- القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص٣٤٦ ،صالح المقبلي :العلم الشامخ .ص٧١ سيد :تاريخ العرب العام .ص٣٩٢ ،د.حنا الفاخوري :تاريخ الفلسفة العربية .ص١٥٢ الملطي :التنبيه والرد .ص٣٨ ،ابن المرتضى : طبقات المعتزلة .ص ح

٣- أبو الحسن الأشعري :مقالات الإسلاميين .ج١ ص١٧

وقد ساعد المعتزلة أن يكونوا المدافعين الأول عن الإسلام في زمانهم ،أن فرقتهم. أو مدرستهم قد ضمّت أبرع الأقوام فصاحةً وقوةَ حجة ، واتصالهم ببعض لخلفاء المستنيرين ، الذين جعلوا للمعتزلة " رأياً إعلامياً "! يخاطب الجمهور فيوضح الدين ويزيل كثيراً من اللبس ، وأخيراً – وهو ما يهمنا في هذا الجزء من هذه الدراسة – أن المعتزلة قد كانوا أكثر ما يكونون تعاوناً وتآلفاً واتحاداً ، مما يؤيد ما نريد الذهاب إليه من أن خلاف المعتزلة بعضهم مع بعض كان خلافاً في الفروع .

وفي ذلك يقول أبو الحسن الأشعري : تعاون هؤلاء الناس – المعتزلة – على ما هم بسبيله ، وصلة بعضهم ببعض ، الصلة الوثيقة العروة ، وعطف بعضهم على بعض ، حتى ضرب الأدباء المثل بتآلفهم ، فقد كتب أبو محمد العلوي إلى أبي بكر الخوارزمي يقول : إن اعتداده به اعتداد العلوي بالشيعي ، والمعتزلي بالمعتزلي[1] .

ومن ثم فإن المعتزلة " قد تناولت مسائل الله والإنسان والعالم ، بالنظر لعقلي الخالص ، وكانت – كفرقة كلامية إسلامية ،وهي تبحث في هذه المباحث – لا تخرج عن الدفاع عن الإسلام ضد الفرق الأخرى ، ولم تخرج عن كونها فرقة إسلامية مخلصة "[2] .

وإذا كان البغدادي يذهب إلى القول بأن البغداديين يكفّرون البصريين[3] ، فإن كتب المعتزلة أنفسهم تدلل لنا على أن المعتزلة قد ورث اللاحق منهم السابق وأن اختلافهم لم يمنع من علاقة الأخذ والعطاء والتراحم بينهم ،بل إن هناك اشتراكاً في الآراء بين المدرستين المختلفتين في كثير من المسائل[4] .

---

[1]- أبو الحسن الأشعري :مقالات الإسلاميين .ج١ ص٢٢ ،د.عصام الدين محمد علي :فلسفة وفرق المعتزلة. ملحق بكتاب المنية والأمل .للقاضي عبد الجبار .ص١٠٣ ،١٠٤

[2]- د.عصام الدين محمد :فلسفة وفرق المعتزلة .ص١٠٤

[3]- البغدادي:أصول الدين .استانبول ١٩٢٨م ص٣٤٣ ،البغدادي :الفرق بين الفرق .ص١٥٦ ،ومواضع مختلفة .

[4]- مثل تأويل صفة الله تعالى السمع والبصر ،على معنى العلم بالموجودات المسموعة والمرئية ! انظر : الشهرستاني :نهاية الإقدام في علم الكلام .بغداد .ص٣٤١ ،البغدادي :أصول الدين .ص٤٤ ،٩٠ ،نشوان الحميري :الحور العين .ص١٨٦

وقد سبق وأشرنا إلى أننا لا نلغي هذا الخلاف ، ولا نقلل من أهميته – بل وخطورته – ولكن ما نريد أن ننبه إليه ، هو أن هذا الخلاف لم يتعد – في الغالب الأعم – الفروع إلى الأصول ، أو إلى العقائد التي توجب الخروج من حظيرة الدين – الكفر – وإلى القول بفساد الأصول الاعتزالية برمتها[1] .

وعلاوة على كتاب أبي رشيد "المسائل في الخلاف " فإن هناك شواهد ودلائل نعلم منها وجود هذا الخلاف بين المعتزلة ، ولا نقول بين البصريين والبغداديين فقط ، بل بين أصحاب التيار الواحد ، فدارسو علم الكلام يعلمون أن خلافاً قد كان بين النظام – إبراهيم بن سيار – وشيخه العلاف[2] ، كما أن النظام قد خالفه الجاحظ – تلميذه – في كثير من المسائل[3] ، والجبائيان قد كان بينهما خلاف لا يُنكر ، وهما – بين المعتزلة – شيخان كبيران ، وصار الخلاف بينهما ذائعاً بين أوساط المعتزلة ، رغم أن الاثنين – الأب والابن – كانا ضمن مدرسة اعتزالية واحدة[4] ، لكن هذا الاختلاف " لم يكن في الأصول ، إنما هو – كالعادة – في الفروع ، وإن كان هذا الخلاف قد يبلغ أحياناً درجة كبيرة من الشدة "[5] .

لكن ما يمكن أن ننتهي إليه هو أن المدرستين : البصرة وبغداد ، قد ساهمتا في الدفاع عن أصول الاعتزال ، إلا أن ظروفاً سياسية قد عملت عملها فتباعدت المسافة فيما بين المعتزلة .

---

[1]- الخياط :الانتصار .ص١٢٧ ،سيديو :تاريخ العرب العام .ص٣٩٢ ،د.سامي نصر لطف :نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين .القاهرة ١٩٧٨م ط١ ج١ ص٣٨١

[2]- القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٤٤ ،ابن عبد ربه :العقد الفريد .تحقيق .أحمد أمين .لجنة التأليف والترجمة والنشر .القاهرة ١٩٥٦م ط٢ ج٢ ص٤١٢ ،ابن نباتة :سرح العيون .ص٣٢٧ ،الملطي :التنبيه والرد .ص٣٩

[3]- الجاحظ :رسائل الجاحظ .القاهرة ١٩٧٩م ج٢ ص٣٣٨ ،ج٤ ص٥٢

[4]- كما أن أبا علي قد كان يخالف العلاف – مع تقديره غير المحدود له – في أربعين مسألة .انظر :القاضي عبد الجبار :المنية والأمل .ص٧١ ،القاضي عبد الجبار :فضل الاعتزال .ص٣٩٤ ،أبو رشيد :ديوان الأصول .ص١١٩

[5]- علي فهمي خشيم :الجبائيان .ص٣٣٦ :٢٥٤ ،وسوف يكون القسم الثاني من هذه الدراسة – بفصوله الثلاثة – مشتملاً على صور من هذا الخلاف القائم بين المدرستين بصوره أكثر تفصيلاً وإسهاباً .

ولقد كانت الخلافات في مشكلة الإمامة وقضية التفضيل ، هي السبب الأول وراء ظهور مدرسة بشر بن المعتمر في بغداد بشكل أكثر استقلالاً[1] .

ولقد كان الاعتزال في البصرة يميل إلى النواحي النظرية أكثر من بحثه في النواحي العملية التطبيقية ،على حين كان الاعتزال في بغداد متسماً بالحركة السياسية والاجتماعية الفاعلة ، وذلك نتيجة لعدة عوامل لعل من أهمها اقتراب رجال المعتزلة من السلطة السياسية الحاكمة ، حتى تم " احتواء المأمون سياسياً ،بإقراره مبدأ أفضلية البيت العلوي بالخلافة ، وبدأت نشاطات البغداديين الدؤوبة في مشاركة السلطة مسؤولية الحكم ، وتخطيط سياستها المذهبية والداخلية "[2] وحتى قال الناصر الأطروش[3] – وهو أحد الخارجين على سلطة الخليفة العباسي – منادياً بـ " العمل بالكتاب والسنة ، وبما صح عن أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب في أصول الدين وفروعه ، والنهي أشد النهي عن القول بالجبر والتشبيه ، ومتابعة الموحدين القائلين بالعدل والتوحيد "[4] .

كما يمكن إضافة خاصية أخرى لمدرسة بغداد الاعتزالية ، وهي تعمقها الشديد ، أكثر من مدرسة البصرة ، في المسائل الفلسفية ،واعتمادها على الطرائق الفلسفية في الجدل والحوار ، وقولها بمسائل فلسفية على قدر كبير من الدقة .ولقد كان السبب في ذلك حركة الترجمة التي شهدتها بغداد على أيدي العلماء بتأييد من الخلفاء العباسيين، مما دفعهم – معتزلة بغداد – إلى البحث في مسائل لم يبحثها البصريون بنفس الطريقة التي بحثها بها البغداديون ، أو لم يبحثوها أصلاً : كقول البغداديين إن في مقدور الله تعالى لطفاً لو فعله بالكافر لآمن طواعية .فأنكر ذلك البصريون ، إذ أنه

---

[1]- القاضي عبد الجبار :شرح الأصول الخمسة .ص٧٦٦ ،القاضي عبد الجبار :المغني في أبواب التوحيد والعدل .ج٢٠ "الإمامة" ص١١٢ :١١٤.

[2]- د.عبد الستار الراوي :العقل والحرية .دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي .المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت ١٩٨٠م ط١ ص٢٠ :٢٢.

[3]- هو أحد رجال البيت العلوي ،سمي بالأطرش لأن أحد عمال الخليفة العباسي ضربه بالسوط فوقع على أذنيه فأصابه الطرش .انظر :د.أحمد محمود صبحي :الزيدية .ص١٩٠.

[4]- د.أحمد محمود صبحي :المرجع السابق .ص٨٨

سوف يؤدي إلى القول بكون الله – حاشاه – ظالماً أو عاجزاً .ومثل بحث معتزلة بغداد في مسألة خلق القرآن والجوهر والعرض وحدود الأشياء[1] .وكذلك قول بشر بن المعتمر بالتوليد بصورة لم يقل بها البصريون من قبل[2] .

وتبقى سمة " النظرية " واضحةً على مدرسة البصرة الاعتزالية ، ودليلنا في ذلك أن أبا رشيد النيسابوري قد كان الاتجاه النظري عنده غالباً على الاتجاه العملي ،حيث نجد اهتماماً كبيراً من جانبه بالبحث في المسائل النظرية وفي دقيق الكلام ، أكثر من الاهتمام بالمسائل العملية ، حتى نجد المُشايعين للمعتزلة قد حاولوا – فيما بعد – استبدال مبحث للسياسة بمبحث البصريين في المنزلة بين المنزلتين[3]، كما نجد أبا رشيد وقد أفاض في الحديث عن أصلي التوحيد والعدل أكثر من حديثه عن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

???????

---

[1]- القاضي عبد الجبار:شرح الأصول الخمسة .ص٥٢٧: ٥٦٣ ،القاضي عبد الجبار :المغني .ج٧ "خلق القرآن" تحقيق .إبراهيم الأبياري .مواضع مختلفة .

[2]- الشهرستاني :الملل والنحل .ج١ ص٦٤

[3]- د.أحمد محمود صبحي :الزيدية .ص٩، ٢٢٣